الثلاثة الكبار

جورج برنارد شو- ابسن -شكسبير

اسامة عبد الرحمن

الدار الذهبية

للطبع والنشر والتوزيع

15 شارع الجمهورية-عابدين

2393382-27951748تليفون

E-mail:aldaralzahabia50@yahoocom

رقم الايداع 8481/2018

الترقيم الدولى 978-977-145-798-3

مقدمة

لاحظنا فى الفترة الأخيرة بعد توافر معلومات ضخمة سهلة المنال كثرة من يدعى انه من الأدباء وماهو منهم بشئ فادا سألته عن اى شئ حتى مما كتبه تلعقم ولم يخر جوابا ومما هو من سمات عصر الجهل العربى ان من يدعى الأدب لو دكرت امامه اسم من اسماء كبار ادباء العالم فقد يدكر اسما سمع عنه وعن انه صاحب الرقم 1 فى مبيعات كتاباته كما حدث لى فى معرض الكتاب حيث قيل لى مدحا فى مجهول لنه صاحب المبيعات رقم1 فى معرض العام السابق ولا اعرف كيف تم عمل هدا الاحصاء 0

المهم وحرصا منى على محاولة ازاحة غطاء الجهل عن الشباب الساعى للمعرفة ولامعين له فقد صارت الكتابة مما فاقم مشكلة الجهل حيث اللغة من اهم مكونات الهوية التى كان من المفروض ان نتفاخر بها فادليت دلوى وبدلت جهدا فى محاول اخراد هدا العمل البسيط عن اهم ثلاثة ادباء فى العالم فى العصر الحديث او قل فى آخر خمسمائة عام وليس دلك من عندى ولكن ما اجمع عليه النقاد والمثقفون انهم اصحاب اكبر الأعمال الأدبية واشهرها قاطبة وليس المعيار بلكقرهم مبيعا والا كانت اجاثا كريستى صاحبة رعم 2مليار نسخة وانما كان المعيار بقيمة العمل لدلك كان هدا الكتاب عن الثلاثة الكبار برناردشو-وهنريك ابسن ثم ويليام شكسبيرفى اختصار غير مخل

اسامة عبد الرحمن

برنارد شو

الميلاد والنشأة

ولد في دبلن بأيرلندا من طبقة متوسطة واضطر لترك المدرسة وهو في الخامسة عشرة من عمره ليعمل موظفاً كان والده سكيراً مدمناً للكحول مما

شكل لديه رد فعل بعدم قرب الخمر طوال حياته، كما كان نباتياً لا يقرب اللحم الأمر الذي كان له أثراً في صحته الدائمة تركت أمه المنزل مغادرة إلى لندن مع ابنتيها ولحق بهم شو سنة 1876 ولم يعد لايرلندا لما يقرب من ثلاثين عاماً عاش برناردشو حياة فقيرة وبائسة أيام شبابه وعندما أصبح غنياً لم يكن بحاجة لتلك الجائزة التي تُمنح أحياناً لمن لا يستحقها ولأن حياته كانت في بدايتها نضالاً ضد الفقر، فقد جعل من مكافحة الفقر هدفاً رئيسياً لكل ما يكتب وكان يرى أن الفقر مصدر لكل الآثام والشرور كالسرقة والإدمان والانحراف، وأن الفقر معناه الضّعف والجهل والمرض والقمع والنفاق ويظهر ذلك جلياً في مسرحيته الرائد باربرا التي يتناول فيها موضوع الفقر والرأسمالية ونفاق الجمعيات الخيرية وعندما غادر إلى لندن بدأ يتردد على المتحف البريطاني لتثقيف نفسه الأمر الذي كان له فضل كبير في أصالة فكره واستقلاله

بدأت مسيرته الأدبية في لندن حيث كتب خمس روايات لم تلق نجاحاً كبيراً وهي: عدم النضج والعقدة اللاعقلانية والحب بين الفنانين ومهنة كاشل بايرون والاشتراكي واللا اشتراكي لكنه اشتُهِر فيما بعد كناقد موسيقي في أحد الصحف ثم انخرط في العمل السياسي وبدأ نشاطه في مجال الحركة الاشتراكية وانضم للجمعية الفابيّة وهي جمعية إنجليزية سعى أعضاؤها إلى نشر المبادئ الاشتراكية بالوسائل السلمية كان شو معجباً بالشاعر والكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن الذي يعتبر أعظم كتاب المسرح في كل العصور وكان السبّاق في استخدام المسرح لمعالجة القضايا الاجتماعية فكان تأثير إبسن واضحاً على شو في بداياته رغم تركه للمدرسة مبكراً إلا أنه استمر فى القراءة وتعلّم اللاتينية

والاغريقية والفرنسية وكان بذلك كشكسبير الذي غادر المدرسة وهو طفل ليساعد والده ومع ذلك لم يثنه عدم التعلم في المدارس عن اكتساب المعرفة والتعلّم الذاتي فالمدارس فى رأي برناردشو ليست سوى سجون ومعتقلات كان مناهضاً لحقوق المرأة ومنادياً بالمساواة في الدخل.

حياته والد جورج برنارد شو، كان موظفا ثانوياً في إحدى محاكم دبلن، غير أنه ترك وظيفته واشتغل في تجارة الحبوب، ولم يلبث أن أعلن إفلاسه، فلجأ إلى تعاطي الكحول أما والدته فقد أهملت العائلة، وأمضت معظم وقتها تغني في فرق الهواة ترك شو المدرسة، وعمل في وظيفة متواضعة، لكنه ضاق ذرعا بها، حيث لم يجد في هذا العمل ما يتوافق وتوتر نفسه وطموحاته وقد ذاق مرارة الفقر في صباه وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره، انتقلت أمه واخوته إلى لندن واستقروا هناك، لتعمل أمه في الحفلات الموسيقية، وتغني في الأوبرا، وكانت إلى جانب ذلك تعطي دروسا في الموسيقى بينما بقي شو في دبلن إلى جانب والده السكير وقد ظلت لندن تشغل فكره، فهي في نظره مدينة الفرص والطموحين وعندما بلغ العشرين، رحل إلى لندن ليجرب حظه كعبقريا كما قال وهناك ارتاد الحلقات الفكرية، وشارك في الخطب وركز على قراءة الكتب بشكل مكثف كما رافق زمرة البوهيميين الذين كانوا يشاركونه ازدراءه للقيم السائدة.

إفتعل شو لنفسه أسلوباً من الدعاية والصلف، مما جذب الناس إليه وقد برع في خطف الأضواء عن طريق صدم الناس، وإيقاع الرعب في نفوسهم من خلال كتاباته، فقد اختط لنفسه طريقة مميزة في استخدام المفردات ثم أخذ يجرب كتابة الروايات، لكن رواياته كانت رديئة، وخلال تسع سنوات لم يكسب سوى ثلاثين دولاراً من عمله ككاتب ليجد نفسه من

جديد يذوق مرارة الفقر في لندن وقد صب شو جام غضبه على من اعتبرهم سبب الفقر، وهم الإقطاعيون الذين تحول أبناؤهم فيما بعد إلى أصحاب المصانع والشركات فسخر منهم وشبههم باللصوص، وقاده اهتمامه لإيجاد حل لمشكلة الفقر إلى تبني المفاهيم الاشتراكية، حتى قبل أن يقرأ كتب الاشتراكيين ووصل شو إلى درجة من الفاقة والفقر كبيرة، فتسرع والدته لإنقاذه، فتوفر له المأوى والطعام، وتعيله طوال السنوات العشرين التالية، ويقول متحدثا عن ذلك : أنا لم أقذف بنفسي إلى معترك الحياة، بل قذفت بأمي إليه عام 1885، عمل شو ناقد موسيقي ومسرحي لتصبح لندن كلها تتحدث عن الشاب الذي يتجرأ على مهاجمة أكبر الكتاب والموسيقيين، والسخرية منهم فينال إعجاب المثقفين المتمردين على القيم السائدة في المجتمع، ويتعرض لهجوم كاتبي النصوص والكنيسة في أوج شهرته، تلهب الممثلة الإنجليزية الان تيري خياله، وقبل أن يلتقي بها بسنوات يبعث إليها برسائل عاطفية، وكتب يصفها بأنها مصدر سعادة وطمأنينة وكنز كبير لكن علاقتهما لم تتطور وعندما التقيا في عام ١٨٩٨ تصبح شارلوت بين باوسنت وهي مليونيرة ايرلندية - رفيقة شو الفكرية وسكرتيرته وعندما تعرض شو لانهيار بسبب الإرهاق، تطوعت شارلوت لأن تكون ممرضته الخاصة ثم بعد ذلك يتزوجان وصف بطلة معظم مسرحياته، ستيلا باتريك كامبل بالمتألقة البيضاء والسيدة الناعمة وكتب إليها العديد من رسائل الإعجاب، إلا أن العلاقة بينهما لا تذهب أبعد من الإعجاب بها، فتصرح عن حيرتها من مفهوم شو للعلاقة العاطفية في عام ١٩٢٠ يحوز جورج برنارد شو جائزة نوبل في الأداب وعندما يبلغ السبعين من عمره، تبدأ قواه كفنان تخبو بعد أن يكون قد برز في العشرينات من هذا القرن كشخصية مدهشة مميزة، ورحالة، وناقد

اجتماعي، ومدرسة تقافية، وعبقري وهاو في الوقت ذاته لعب شو طوال حياته دور المهرج، فأصبح أسير السمعة التي بناها لنفسه ، فلم يستطيع التخلص من هذا الدور حتى وفاته في الثلاثينات يثني على هتلر وموسوليني وستالين، ويرجع ذلك إلى إعجابه بالأقوياء، وإلى مقته الشديد للاستعمار ثم إلى حقيقة أنه لايكل ولا يمل من ميله إلى صدم الناس وتتبدل أراؤه مع بداية الحرب العالمية الثانية، فهو يستنكر إراقة الدماء، وقد أثار حفيظته ما وقع له يوم عيد ميلاده الثامن والثمانين على مقربة من لندن، فيقول :كانت أول تحية تلقيتها، قنبلة من أدولف هتلر، حطمت نافذة غرفة نومي، وأمل أن أتلقى في عيد ميلادي التالي شيئا أكثر بهجة وأقل استفزازاً أصبح شو مليونيراً عن طريق بيع حقوق مسرحياته، ويؤكد أنه سيحاول أن يموت غنياً، لكن جابي الضرائب يستولي على كل شيء تقريباً في التسعين من عمره ويواصل كتابة المسرحيات والكتيبات السياسية وتكون زوجته قد ماتت سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية،وكان ينظر إلى الأمريكان كحمقى، وهناك نقد كل شيء نصح الأميركيين، أن يحطموا دستورهم، وأن يقضوا على الطغاة، ويؤمموا المصارف، ويهدموا قوة الرأسمالية وقد لقيت رحلته إلى الولايات المتحدة ترحيباً كبيراً، وزار هوليوود، وعومل هناك كملك متوج وزار أيضاً المكسيك وموسكو، ولقي احتفاء متميزاً في كلا البلدين ورغم أنه تجاوز التسعين، غير أنه يبدأ بغزل مفعم بالحياة مع ممثلة شابة، لكن كالعادة فقد كان ذلك عبر البريد فقط وفي عام 1950 يتوفى جورج برنارد شو،عن أربعة وتسعين عاما، ومنذ وفاته ظل النقاد والمؤرخون يحاولون سبر مكانته وتأثيره ككاتب وكإنسان لكن شو نفسه كان لديه أوضح ما قيل، وربما آخر ما قيل في هذا المجال، إذ يقول :ان صورتي بقيت في ذهن الناس لسنوات طويلة كرجل ظريف

ومتألق وذكي بشكل مميز، وإن هذه الصورة أصبحت الآن جزءاً من الرأي العام، وليس هناك قوة في العالم تستطيع أن تغير تلك الصورة ويمكن القول أن برنارد شو قد لعب دوراً كبيراً وعمل جاهداً في سبيل تحطيم كثير من الأفكار التي كانت سائدة في العصر الفيكتوري، أي عصر الاستعمار الذهبي بالنسبة لبريطانيا .

التقى بالناشطة الإيرلندية شارلوت باين تاونسيند، ووقعت في غرامه حتى أنها عرضت عليه الزواج في يوليو 1897 لكنّه رفض عرضها متذرعًا بان ثراءها قد يجعل الناس يصفونه بمتصيد الفرص لكنه تزوجها في 1 يونيو عام 1898 ، بعد أن وقع له حادث أقعده الفراش وكتب يشتكي لها، فعادته ورتبا للزواج بقي معها حتى وفاتها عام 1943 ، وقد أحرق جثمانها ومُزج رمادها مع رماده ونُثر في ركن شو بعد وفاته.

فلسفته في الحياة

برز في مجال العلم والفن الذي رأى أنهُ السبيل الوحيد من أجل الخلاص والتمتع ببيئة نظيفة ، وخالية من المشاكل والمشاحنات ، غير أنهُ كان يدري أن تغيير العالم ليس بيدهِ ليس لأي أمر، ألا أنّهُ يريد أن يكون كل شيء مثالياً ، وفي الدنيا ليس للمثالية وجود على الأرض فقد جعل من مكافحة الفقر هدفاً رئيسياً لكل ما يكتب وعندما سُئل عن حالة الأقتصاد العالمي: قال لحيتي كثيفة ورأسي أصلع كالأقتصاد العالمي غزارة في الأنتاج وسوء في التوزيع وفلسفتهُ الأنسانية تكمن في قوله : حينما أكتب مسرحياتي أقصد أنْ أحمل الشعب على أن يصلح شؤونه ، وليس في نفسي باعث آخر للكتابة أذ أنني أستطيع أن أحصل على لقمتي بدونها رفض أن

يزور أمريكا حتى لا يرى سخرية القدر بوجود تمثال الحرية في بلدٍ يهين ويحتقر الأنسان أينما كان -- ذلك البلد الذي أنتقل من البدائية إلى الأنحلال دون أن يعرف الحضارة أنتقد النظام الرأسمالي لخصها بهذه الجملة المعبرة الرائعة أنّ طريق الحياة فيها يمر عبر مصنع الموت ويظهر أنُّهُ يؤمن بالمثل القناعة كنزٌ لا تفنى كان شو في حياته يحارب الفقر وينبذ الحرب ويدعو الى السلام وكان يدعو الى تحديد حد أدنى للاجور وقد انعكست آراء شو الاشتراكية في نظرته للمجتمع الذي تذوب فيه الفوارق بين طبقات المجتمع , ان مسرح شو من ناحية البناء يتميز بوضوح الشخصيات التي تعرف نفسها بنفسها وترى الحياة من خلال الآخرين , ان مسرح شو مسرح فكر اشتراكي يصعب فهمه دون دراسة أهداف المسرحية وشخصياتها , ان الانسان في مسرح شو أهم من الديكور والمناظر ومن الاداء التمثيلي .

كان شو يعتنق مذهب الفابية , وهو مذهب يؤمن بالاشتراكية بين أفراد المجتمع والمساواة بينهم والابتعاد عن الحروب ونبذها والابتعاد عن إراقة وسفك الدماء دون سبب مبرر , واعتماد سياسة الجدل والنقاش كلغة بديلة عن الحروب وهذا الشيء أنعكس في مسرحياته اذ كان عنصر الجدل الفكري المتاثر بفلسفة هيجل الجدلي قائم في معظم مسرحياته حيث كان يقول ان مسرح الفكر أهم من مسرح الجسد.

كان شو يقول : ان المال مهم في الحياة وهو ضروري مثل القوة والصحة ,حيث كان في مسرحياته يعالج قضايا اجتماعية في بداية حياته المسرحية مثل مسرحية بيوت الارامل و بيت محطم القلب و مهنة السيدة وارن وكان يستخدم في مسرحياته بعض المشاهد الكوميدية حتى ان الملك هنري الثامن حينما شاهد مسرحية شو جزيرة جان بول الأخرى أراد أن

يكسر المقعد الذي كان يجلس عليه من الضحك بسبب المشاهد الكوميدية في المسرحية .

كان يؤمن بنظرية الانسان السوبرمان وهي نظرية ترتكز على أن بعض الناس لديهم قدرات ذهنية وعقلية وجسمية خارقة , وقد ظهرت هذه الفكرة جلية في مسرحية الانسان والانسان الفائق , كما أنه أدان الحروب ورفضها ونبذها كما في مسرحية الأسلحة والرجل , وكتب أيضاً مسرحيات سياسية مثل مسرحية عربة التفاح , وكتب مسرحيات تأريخية مثل مسرحية انطونيو وكليوباترا , كما كتب مسرحية تتحدث عن بدأ وتطور الخليقة مثل مسرحية عودة ميتوشالح , وكتب أيضاً مسرحية خيالية هي بيجماليون والقديس جون ومسرحية جوهر الابسنية كما أصدر شو عام 1891 كتاباً نقدياً أسماه جوهر الابسنية وفيه هجوماً صارخاً على أكبر أثنين من كتاب الدراما وهما شكسبير وابسن , فكان يصف شكسبير بأنه شاعر وقصاص وعلم من أعلام البيان وكاتب فكاهي لكنه لم يصفه ككاتب درامي , وكان يقول عن شيكسبير:بأنه لم يبني مسرحياته على أساس علمي في رسم شخصيات مسرحياتهوأحداثها , وكان يقول عن ابسن : ان مسرحياته مسرحيات عائلية منزلية لا تستحق العرض وانما هي خاصة للقراءة فقط , وكان يقول : ان ما يستحق العرض هو محاربة الاقطاع ومناهضة الحروب ونبذ أوهام المهن ومحاربة مرضى الضمير وهذا هو ما يجب ان تتضمنه الدراما على حد قول برناردشو.

ان كتاب الكاتب الاتجليزي الاشهر شو جوهر الابسنية قدم فيه ابسن بكونه منشئ مسرح القضية الاجتماعية ويتحدث في الكتاب عن أفكار شو نفسة بالنسبة للمسرح الاجتماعي ان فكر شو فكر ماركسي اشتراكي فابي

مؤمن بالمساواة بين أفراد المجتمع والحصول على أبسط الحقوق من حقوق الناس وهو توفر المال حتى نتخلص من الامراض الاجتماعية في الحياة , واعتماد سياسة الفكر والجدل بديلاً عن سياسة الحروب وإراقة الدماء , ويدعو إلى مسرح الفكر والابتعاد عن الامور السطحية واللاأخلاقية في المسرحية كما أنه يهتم بالتهريج والكوميديا والكوميديا السوداء في جل مسرحياته.

قال عن الحقيقة في رأي الفلاسفة: إنني ألقي من يدي بكل كتاب يفتتحه مؤلفه بالسؤالِ عن الحقيقة، موقنًا أنه لا يعرفها وأنني لن أعرفها ولو أتيت على كتب الفلاسفة بأجمعها إن الفيلسوف ورجل الواقع المحسوس قد يتفقان على بضعة أمور حقيقية، ويفسرها كل منهما تفسيرًا يناقض تفسير صاحبه ومن عادة الفيلسوف أن يجعل الحقيقة والظاهر ضدين؛ حيث يعتقد رجل الواقع أن الظاهر هو الحقيقة، وأن الأمور التي لا ظاهر لها نصيبها من الصحة والثبوت أقل من نصيب هذه المحسوسات وأبدى له جليسه رأياً في المصاعب وأثرها في الارتفاع بمن يذللونها ويتغلبون عليها،ً وأنه هو قد تسنم الذروة في عالم الأدب والشهرة لما تمرَس به من المصاعب أيام الشباب.

حسب المرء من قليل معرفته ما يعنيه على الرياضة النفسية، والرياضة الذوقية،والرياضة الجسدية.

فالعلوم غير مجدية إن لم تهيئ لصاحبها هذه الرياضات، وهو يسخر بالعلم الحديث ومَن يجعلونه مفخرة للعصور الحديثة، فغاية شأنه أنه منافع ومرافق وما من أحمق يعجز عن كشف من تلك الكشوف العلمية، أو كما قال السيد الشيخ في رواية إنني يا سيدتي أجلُّ الكشوف الفخمة التي نحن مدينون بها : العودة إلى متوشالح للعلوم، ولكنه ما من أحمق يعجز عن

كشف منها .فكل طفل في سنواته الأولى له كشوف تفوق في عددها كل ما كشفه في معمله روجر بيكون بينه وبين بعض جلسائه فقال :إن الألمان لو انتصروا وجرى الحديث في بيت لجردوني من كل ما أملك، ولكنني لحسن الحظ لا أحتاج إلى كثير.

قال جليسه ما فحواه :لست أنسى ماكسنورداو، وقد جاء يزورنا بعد الحرب العالمية الأولى، فطفق يشكو الحكومة الفرنسية التي جردته مما عنده حتى أوشكت أن تهبط به إلى التسول والاستجداء.

بدايات جورج برنارد شو

في عمرٍ مبكر، استكشف شو عالم الفنون (الموسيقى والفنون والآداب)، بتوجيهٍ من والدته وعبر زياراتٍ منتظمة إلى المعرض الوطني في ايرلندا وعام 1872 تركت والدة شو زوجها مصطحبةً شقيقتي شو إلي لندن، وتبعهم شو بعد أربع سنوات، وفي هذه الأثناء، توفيت شقيقته الوسطى، وقد قرر حينها أن يصبح كاتباً قاسي شو متاعب اقتصادية، ووقفت والدته إلى جانبه بشكلٍ كبير في الوقت الذي كان فيه شو يقضي وقته في قاعه المطالعة التابعة للمتحف البريطاني، كاتباً أولى رواياته.

إنجازات جورج برنارد شو

لسوء حظه، وعلى الرغم من الوقت الذي قضاه شو في كتاباته، كانت رواياته روايات فاشلة إلى حدٍ مثيرٍ للكآبة، ورفضها الناشرون رفضاً شديداً تحول بعد ذلك تماماً نحو السياسة، وأنشطة النخبة البريطانية المثقفة ، فانضم إلى جمعية فابيان عام 1884 . كانت جمعية فابيان مجموعةً اشتراكية، لم يتخطَ هدفها تحويل إنجلترا إلى قاعدةٍ سياسيةٍ وفكريةٍ حيوية، وانخرط شو في أنشطتها إلى حدٍ بعيد، حتى أنّه حرر ورقة الدعاية التي

نشرتها المجموعة وفي العام الذي تلا انضمامه إلى جمعية فابيان، أرسى شو دعائم لأعمالٍ كتابية في هيئة مراجعاتٍ للكتب ونقدٍ مسرحي وموسيقي وفني وفي عام 1895 أصبح عضوًا في مجلس Saturday Review كناقدٍ مسرحي لهذا المجلس، وعند هذه النقطة، بدأ شو كتابة مسرحيات من بنات أفكاره.

كاتب مسرحي

نُشرت أولى مسرحيات شو بأجزاء تحت عنوان مسرحيات غير سعيدة Plays Unpleasant، تضمنت Widowers' Houses ومسرحيات Widowers' Houses و Mrs. Warren's Profession. سعيدة Plays Pleasant ضمت Arms and the Man و Candida و The Man of Destiny و You Never Can Tell. كانت هذه المسرحيات مفعمة بما سيصبح في ما بعد الحس الفكاهي المميز لشو، مصحوبةً بشحناتٍ ناجعة من النقد الاجتماعي الذي كان نابعاً من ميوله نحو جمعية فابيان ولم تبقَ هذه المسرحيات لتكون أفضل ما ذكر به شو، كما لم تكن أفضل ما نال به شو تقديره الكبير، ولكنّها وضعت الأرضية التي بنى عليها شو أعماله العملاقة القادمة.

من أشهر أعماله

ظل شو يكتب للمسرح لفترة ست وأربعين سنة، وقد بلغ عدد المسرحيات التي هي ما بين مسرحية طويلة ومتوسطة، كتب مايزيد على

الخمسين مسرحية، وقد أخرج عددا كبيرا من هذه المسرحيات أثناء حياته في عواصم بلدان أوروبا وأمريكا وترجم حازم قاسم حسن أعماله كاملة إلى اللغة العربية وصدرت على شكل أجزاء وصدرت أيضا كل مسرحية على حدة ومن أشهر مسرحياته:بيوت الأرامل - مسرحية السلاح والرجل - مسرحية جان أوف أرك مسرحية الإنسان والسوبرمان - مسرحية سيدتي الجميلة - كانديدا -الرائد باربرا - بيت القلب الكسير. من

أشهر أقوال جورج برنارد شو

المخيلة هي بدء الإبداع، فأنت تتخيل ما ترغب به، وترغب بما تتخيل، لتخلق في النهاية ما ترغب.

- انتبه لحصولك على ما تحب وإلا فإنك ستُرغم على حب ما تحصل عليه.
- نحن لا نتوقف عن اللعب لأننا كبرنا، إنما نكبر لأننا توقفنا عن اللعب.
- الحب الأول هو قليلٌ من الحماقة وكثير من الفضول.
- الحياة ليست أن تجد نفسك، إنها أن تخلق نفسك.
- يستحيل التقدم دون تغيير، والذين لا يستطيعون تغيير تفكيرهم، لا يستطيعون تغيير أي شيء.
- أكبر مشاكل الاتصالات هو الوهم الذي أحدثته.
- لا يوجد حب أكثر إخلاصًا من حب الطعام.

- عندما يكون الشيء مثيرا للضحك ..... فابحث جيدا حتى تصل إلى الحقيقة الكامنة وراءه.
- إنني أغفر لنوبل إنه اخترع الديناميت لكنني لا أغفر له أنه اخترع جائزة نوبل.

- كثيراً ما يلوم الناس ظروفهم لما هم فيه أنا لا أؤمن بالظروف.
- الناجح في الحياة هو من يسعى للبحث عن الظروف التي يريدها، وإن لم يجدها يصنعها بنفسه.

- كن حذراً من الرجل الذي لا يرد لك الصفعة : فهو بذلك لا يسامحك ولن يسمح لك بمسامحة نفسك.
- عندما يريد الرجل أن يقتل نمرا يسميها رياضة وعندما يريد النمر قتله، يسميها شراسة.

- حتى إذا امتلك الإنسان المال وتمتع بالصحة لن يتوقف عن التساؤل إن كان سعيدا أم لا.

- القراءة جعلت دونكيشوت إنساناً محترماً لكن تصديقه ما قرأ جعله مجنوناً.

- احذر من رجل ضربته ولم يرد لك الضربة فهو لن يسامحك ولن يدعك تسامح نفسك

- علم بلا فعل كسفينة بلا ملاح.

- كانت الانسانية لتكون سعيدة منذ زمن لو أن الرجال استخدمو عبقريتهم في عدم ارتكاب الحماقات بدل أن يشتغلو باصلاح حماقات ارتكبوها.

- انتبه ادعاء المعرفة أشد خطرا من الجهل

- أكره الشعور بأنني في البيت عندما أكون خارجا

- بعض الناس يرون الأشياء كما هى ويتسائلون لماذا ، وآخرون يحلمون بأشياء لم تكن أبداً ويتساءلون لم لا.

- كلما عملت أكثر ، عشت أكثر.

- الانتحار هو الطريقة التي تجعل الإنسان مشهوراً من دون أن يمتلك قدرات.

- يمكن للإنسان أن يصعد أعلى القمم، لكن لا يمكنه البقاء فيها طويلا.

- الشخص الذكي حقا لا يخطو أي خطوة إلا بعد أن يحسب لها ألف حساب.

- إذا تفوهت بالعديد من التلميحات الذكية فأنت رئيس وزراء وإن دونتها فأنت شكسبير.

- قد تأتيك النصيحة النافعة على لسان مجنون.

- التقدم مستحيل بدون تغيير ، واولئك الذين لا يستطيعون تغيير عقولهم لا يستطيعون تغيير أي شيء.

- النساء الجميلات والذكيات لا يشاركن في الحكم فهن يدعن الحكم للرجال طالما هن يحكمن الرجال.

- إذا حاولت التوقف عن التفكير لعدة دقائق ستجد نفسك محاصراً بالأفكار من جميع الجهات.

- هو لا يعرف شيئا ويظن أنه يعرف الكثير إذاً فهو يمتهن السياسة.

- مأساة الكذاب ليست في أن أحدا لا يصدقه ، وإنما في أنه لا يصدق أحداً.

- تقلق المرأة على المستقبل، حتى تجد زوجاً ولا يقلق الرجل على المستقبل إلا بعد أن يجد زوجته.

- لن يسود السلام العالم حتى تُستأصل الوطنية من الجنس البشري.

- ما أجمل النظافة ولكن ما أعظمها عندما تكون في عقولنا.

- العربة الفارغة أكثر جلبة من الممتلئة.

- الظلم الذي نفيد منه يسمى حظا و الظلم الذي يفيد منه سوانا يسمى فضيحة.

- هيجل كان محقاً عندما قال أننا نتعلم من التاريخ أن المرء لا يستطيع أن يتعلم أي شئ من التاريخ.

- الديمقراطية هي جهاز يضمن عدم عيشنا أفضل مما نستحق.

- كونك لا تقوم إلا بالأمور التي يتوجب عليك القيام بها فهذا لن يجلب لك السعادة لكنه أمر عظيم.

- إذا كانت المرأة دقيقة جداً في البحث عن مواصفات الرجل المناسب فهي لن تتزوج على الإطلاق.

- إنني لا أقاوم أي إغراء لأن الأمور السيئة لا تغريني أبداً.

- لقد تعلمت مند زمن طويل ألا أتعارك مع خنزير لأنني بدلك سأتسخ وذلك يروق له.

- إذا أعاد التاريخ نفسه سيظهر عجز الإنسان عن التعلم من التجارب.

- إذا كان كل شيء في هذا العالم إيجابيا لن يكون لدينا ما نفعله.

- يبدو الأسد في القفص أكثر ألفة لأنه في القفص يكون في مأمن من الناس.

- أنا استمتع بالنقاهة لأنها الجزء الجميل في المرض.

- الحُب هو النّجم الذي يتأملهُ الرجل وهو سائر على الأرض ، والزواج هو الحُفرة التي يقع فيها.

- أعطوا المَرّأة الحَقَّ في التَصويت ؛ وَخِلال خَمِس سَنوات سَيكون لَديكَ ضريبة على العزوبية.

- لو أن النساء كن يُدققن في شخصيات الرجال فَلَن يتزوجن على الإطلاق أبداً.
- أنت لا تفشل أبداً إلى أن تتوقف عن المحاولة.
- حتى لو اعتذرت الرياح ، الغصن سيبقى مكسوراً.
- المنحدر الذي حطمك وكسر فيك شيئاً ما ، قد تشكره يوماً من الأيام.
- نحن البشر كثيراً ما نحاول ابتلاع مرارة حياتنا بالأوهام.
- أهم مواجهة يجب أن نخوضها هي مواجهة أنفسنا.
- الطُّموح هوَ أن تعِيش بضعَ سنواتٍ مِن حياتكَ بشكْلٍ يستهْزئ به أغلَب النَّاس كيْ تعِيش بقيَّةَ حيَاتك بشَكلٍ لا يسْتطِيعه أكثَر النَّاس.
- اكتبْ لحظاتك الحزينة على الرمال ، أما أوقاتك السعيدةَ فاكتبها على الصخر.
- لا تكن كالشمعة ، تضيء للآخرين وتحرق نفسها.
- الوقت يكشف لك دائماً ما تعنيه لشخص ما.
- قبل أن تبدأ بالشيء ، عليك أن تفكر كيف تنهيه.
- أنا لا أؤمِن بالظّروف، فالنَّاس الّذين يتقدّمون في هذه الحَياة هم أولئِك الّذين يستيقظُون في الصَّباح للبحثِ عن الظّروف الّتي يريدونَها.
- اسّس حيَاتك على قاعِدة ، أسْعد نفسَك قبْل كلّ شَيء.
- إن المرأة أقرب إلى السماء منها إلى الرجل ، لأنها قد تغفر للرجل أكثر الزلات بينما هو لا يغفر أبسط الصِفات.
- هناك مأساتان في الحياة ، الأولى هي أن تخسرَ ما يتمناه قلبُك ، والأخرى هي أن تحصُلَ عليه.
- عندما يصمت الرجل فأعلم أنه يفكر ، وعندما تصمت المرأة فأعلم أنها تدبر لمكيدة.

- الاهمال يقتل الحب ، والنسيان يدفنه.
- لحب يستأذن المرأة في أن يدخل قلبها ، أما الرجل فإنه يقتحم قلبه دون استئذان.
- الحب هو اللعبة الوحيدة في العالم التي يكسبها الطرفان .. أو يخسرها الطرفان.
- اذا قرأ الغبي الكثير من الكُتب الغبية ، سيتحول إلى غبي مُزعج وخطير جداً ، لأنه سيصبح غبي واثق من نفسه وهنا تكمُن الكارثه.

من طرائف برناردشو:

قالت سيدة له: لو كنت زوجي لوضعت لك السم في القهوة.
فأجابها برنارد شو: عزيزتي.. لو كنت زوجتي لشربتها.
يقول شو عن سخريته:إن أسلوبي في المزاح هو أن أقول الحقيقة و أنه عندما يكون الشيء مُضحكاً ابحث عن الحقيقة الكامنة وراءه.
وفي سخريته من استعباد الانجليز للتقاليد يقول:
لن يكون الإنجليز أمّة عبيد،إنهم أحرار في أن يصنعوا ما تسمح لهم به الحكومة والرأي العام.
وعن الذين يبالغون فى الاهتمام بأناقتهم : إنه جنتلمان انظر إلى حذائه.
عن العاطلين عن العمل وعن إسعاد الآخرين :
لاحقَّ لنا فى استهلاك السعادة بغير إنتاجها إلاّ كحقنّا فى استهلاك الثروة بغير إنتاج.
وعن المبالغة في تقديم الطعّام للضّيوف يقول إن الأكل الكثير يقلّل من حفاوة اللقاء لأن الإنسان لا يتكلم وهو يأكل .
وحين قابله أحدُ الصحفيين الذي استأثر بالحديث كلّه ولم يسمح له أن

يتحدث كلمة واحدة قال : فلّما انصرف سمحتُ له بنشر الحديث بشرط أن يكتفي بما قلت ويحذف كل ما قال.

يُذكر أن إحدى السيدات الأرستقراطيات سألت برناردشو كم تقدر عمري؟

فنظر إليها برناردشو واستغرق في التفكير، ثم قال اذا أخذت في اعتباري أسنانك الناصعة البياض والتي تتلألأ في فمك فسيكون عمرك 18 عاماً،واذا أخذت في اعتباري لون شعرك الكستنائي فيمكن تقدير عمرك 19 عاما،أما لو أخذت في اعتباري سلوكك فسيكون عمرك 20 عاما فقالت بعد أن أطربها ما سمعت:شكرا علي رأيك اللطيف ولكن قل بصدق كم تعتقد أني أبلغ من العمر؟ فأجابها على الفور: اجمعي 18 + 19+20 تحصلين علي عمرك.

قبل اسبوعين من احتفال برناردشو بعيد ميلاده الثالث والتسعين كتب إليه مدير احدى الشركات السينمائية الجديدة راجيا فيه أن يأذن له فى إخراج إحدى رواياته لقاء أجر زهيد ،معتذرا بأن الشركة ما زالت ناشئة ولا تستطيع دفع مبلغ كبير له فرد عليه شو قائلا:أستطيع أن أنتظر حتى تكبر الشركة.

دعي جورج برنارد شو إلى حفلة ،وانزوى مع شابة جميلة في مكان ما يتحدثان فيه وبعد انقضاء ساعة ظل يتحدث خلالها مادحاً في نفسه وفي عمله ثم التفت إلى الشابة وقال :لقد أطلنا الحديث عني،وجاء دورك لتحدثيني عن نفسك ما رأيك بمسرحيتي الأخيرة ؟ لما مثّلت ملهاة برنارد شو كانديدا على أحد مسارح لندن صفق لها الجمهور تصفيقا حادا وتهافت الناس على تهنئة صاحبها بحرارة.

إلا أن سيدة مسنة ، غريبة الأطوار ،التقت به وهو خارج من المسرح

وقالت له :يا برنارد شو إن ملهاتك لم تعجبني أبدًا .
فقال لها : وأنا أيضا كذلك لم تعجبني،ولكن ماذا بوسعنا أنا وأنت وحدنا أن نفعل إزاء هذا الجمهور الغفير المعجب بها حتى الهوس.
كان برنارد شو صديقاً حميماً لونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا ،وكان هذا يحب النكتة البارعة فيتحرش ببرنارد شو ليتلقى قوارص كلامه.
قال له تشرشل وكان ضخم الجثة أن من يراك يا أخي برنارد وكان نحيل الجسم جداً يظن أن بلادنا تعاني أزمة اقتصادية حادة ،وأزمة جوع خانقة.
أجابه برنارد شو على الفور : ومن يراك أنت يا صاحبي يدرك سبب الأزمة.
توجه جورج برنارد شو إلى إحدى المكتبات التي تبيع كتباً مستعملة بثمن بخس،فوقع نظره على كتاب يحوي بعض مسرحياته القديمة ولما فتحه هاله أن يرى أن هذه النسخة كان قد أهداها إلى صديق له وكتب عليها بخط يده:إلى من قدّر الكلمة الحرة حق قدرها،إلى الصديق العزيز مع أحر تحيات برنار شو اشترى برنارد شو هذه النسخة من البائع وكتب تحت الإهداء الأول :
جورج برنارد شو يجدد تحياته الحارة إلى الصديق العزيز الذي يقدّر الكلمة حق قدرها وأرسل النسخة بالبريد إلى ذلك الصديق.
سألت سيدة حسناء برنارد شو ما هو الفرق بين المتفائل والمتشائم فأجابها:
المتشائم يحكم علي من خلال سحنتي، والمتفائل يحكم علي من خلال أدبي الفكه.
المتشائم ينظر إلى كعب حذائك والمتفائل ينظر إلى وجهك الجذاب.

كان برنارشو منهمكا بالكتابة فقالت له سكرتيرته وكانت جميلة: أن قريبة لك جاءت لتراك لحظة واحدة لأنها مسافرة وتريد أن تقبلك قبلة الوداع .

فأجابها برنار شو:

ألا تعرفين أني منشغل جداً في هذا الوقت ولا أحب أن أقابل أحداً.

ثم أضاف خذي منها أنت هذه القبلة ثم استردها أنا منك حين أفرغ من عملي .

حضر برنارد شو حفلة خيرية ،وأثناء الأحتفال دعته إمرأة للرقص معها فوافق وهو يراقصها سألها عن عمرها فقالت : خمس وعشرون فضحك وقال لها: النساء لا يقلن أعمارهن أبداً،وإن قلنها فهن يقلن نصف العمر فقط .

فقالت غاضبة : أتقصد أنني في الخمسين من عمري يا سيدي ؟

فرد عليها : بالضبط .

فصاحت به : إذاً لماذا تراقصني ؟

رد عليها بكل هدوء: أنسيتِ أننا في حفلة خيرية سيدتي

ومن أقوال برنارد شو في المرأة أيضاً:

- اذا أضحكت المرأة أحبتك.. ولم تحب مجلسك.
- لم أر في حياتي امرأة إلا ولها من القبح ما يغطي جمالها .
- الشخص الوحيد الذي يأمر المرأة بالصمت فتطيعه، هو المصور .
- الحياة الزوجية شركة يقوم فيها الرجل بالتدبير، والمرأة بالتبذير .
- بعض النساء لديهن القدرة على تسلية أي رجل إلا الزوج .
- علامة الحياء في الفتاة احمرار الوجه و في المتزوجة اصفراره .
- لا توجد أم تحب أن تكون ابنتها طويلة اللسان مثلها .

- مَن قال أن المرأة ليس لها رأي المرأة لها كل يوم رأي جديد .
- اخلاص المرأة كالتوابل: الإكثار منها يضر والإقلال يمنع اللذة.
- النساء عباقرة في الحب، أما الرجال فيمكنهم تعلم هذا الفن باللامبالاة.
- تقلق المرأة على المستقبل حتى تجد زوجا ، ويقلق الزوج على المستقبل بعد أن يجد زوجة .
- تضحي المرأة بكل شيء من أجل الرجل الذي أحبته ولكنها لا تهتم بمن تشك في محبته لها.
- يشعر الرجل بقوته فيغدق رحمته على المرأة، وتشعر المرأة بضعفها فتقسو على الرجل.
- هناك رواية بوليسية مسلسلة يقبض فيها على الجاني من أول فصل ....إنني أعني رواية الزواج .
- سئل مرة برناردشو عن احدى النساء وهل هي جميلة أم لا.. فقال: دعني أراها عندما تستيقظ من نومها صباحاً.

شو ونوبل

برنارد شو ، يعد من أشهر الأدباء الذين رفضوا جائزة نوبل للآداب حين قدمت له وقال إن نوبل تشبه طوق نجاة يلقى به إلى رجل وصل إلى بر الأمان، ولم يعد عليه خطر، ظل شو يكتب للمسرح لعقود طويلة كتب فيها ما يزيد على الخمسين مسرحية، ومن أشهر ما ألفه مسرحية الإنسان والسوبرمان،مسرحية سيدتى الجميلة، كانديدا، الرائد باربرا، بيت القلب الكسير حصل على جائزتي نوبل فى الأدب فى عام 1925 عن كتابه الاسلام الأصل وهو من أعظم مفكرى الغرب حيث اجتازت شهرته حدود بلاده بسبب تعليقاته اللاذعة وفلسفته وتقديره للنبى محمد صلى الله عليه وسلم .

شو والديمقراطية

وكان لجورج برنارد شو آراء فى الديمقراطية منها :

من عيوب الديمقراطية أنها تجبرك على الاستماع الى رأي الحمقى.

إن الديمقراطية لا تصلح لمجتمع جاهل لأن أغلبية من الحمير ستحدد مصيرك.

أهم فرق بين الشورى والديمقراطية : أن من يقدم في الشورى هو أهل الحل والعقد من العلماء الاتقياء الانقياء ، والعوام ليس لهم في الغالب أثر في الشورى إلا شيئاً محدوداً يسيراً فيما يتقنه بعض الأفراد في اختصاصاتهم أما في الديمقراطية:فالذي يقدم هو من يحصل على أصوات أكثر في الانتخاب حتى لو كان من أصحاب الأهواء والضلال سواء كان من العوام أو من الرعاع او من اصحاب الفهم والابداع ثم أن الديمقراطية : حكم الشعب للشعب من أجل خراب بيت الشعب التشريع من الناس في كل صغيرة وكبيرة وهي لا تقوم على أية قيم تضبطها فكل شيء عرضة للتصويت والتعديل تبعا للأهواء والأمزجة بخلاف الشورى التي لا تخضع ثوابت الدين فيها للتشاور والتعديل كما لا تخضع القيم لذلك وانما ما يخضع للشورى هو ما كان مجال الاجتهاد وغالباً في سياسة الدولة وسياسة الشعب ، وتقديم ما يصلحهما.

الاسلام وشو

فى الفترة الحالية وأثناء حياته يتعرض الإسلام إلى الكثير من الهجوم، ولكن بالقراءة المتأملة فى الأدب والفكر الغربى نجد أن هناك نماذج تحمل آراء مختلفة حيث روح الاحترام والانبهار للتعاليم الدينية الإسلامية، واليوم تمر الذكرى الـ65 على وفاة الكاتب الأيرلندى الشهير جورج

برنارد شو، الذى كان معروفًا بتسامحه وحبه الشديد للإسلام، وغيره الكثير من الأدباء الذين كتبوا عن الإسلام.

كان من أشهر من دافع عن الإسلام بعد الحملات التى اعتادت أن تشنها أوروبا على الإسلام والمسلمين، فكتب شو عام 1936 مقالاً له بعنوان الإسلام الحقيقى، قال فيه إنه إذا كان لديانة معينة أن تنتشر فى أوروبا خلال مئات السنوات المقبلة فيجب أن تكون الإسلام وأضاف أنه قرأ فى الديانة الإسلامية عدة مرات ووجد أنها تحتل أعلى درجات السمو بسبب حيويتها الجميلة، ووصفها بأنها الديانة الوحيدة فى نظره التى تملك قدرة الاندماج.

وقال جورج برنارد شو فى مقالته: إننى درست تاريخ حياة محمد، ذلك الرجل العظيم، وفى رأيى يجب أن يطلق عليه لقب منقذ البشرية، إننى أعتقد أنه إذا قدر له أن يتولى مسئولية قيادة العالم، فلاشك أنه سيستطيع حل مشكلاته وإقرار السلام والسعادة، لقد تنبأت بأن عقيدة محمد ستكون مقبولة لأوروبا غدًا.

ومن أرائه الأخرى عن الإسلام قال: هو دين الديمقراطية وحرية الفكر، وهو دين العقلاء، وليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعى صالح كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية، فالإسلام هو الدين الوحيد الذى يبدو لى أن له طاقةً هائلةً لملائمة أوجه الحياة المتغيرة، وهو صالح لكل العصور .

ومن أهم مؤلفاته على الأطلاق محمد عند علماء الغرب- الإسلام فى ضوء التشيع وكان المثل الاعلى للشخصية الدينية عنده النبى محمد وبلغ به الاعجاب أن حاول أن يكتب مسرحية عن النبى محمد.

كما ناقش برناردشو بحياد المفكر وموضوعية العالم مواقف الكنيسة المسيحية من الأسلام فى القرون الوسطى وأظهر أنها لم تصدر إلا عن تعصب فيقول لقد طبع رجال الكنيسة فى القرون الوسطى دين الاسلام بطابع أسود حالك إما جهلا وإما تعصباً إنهم كانوا فى الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه فعندهم أن محمداً كان عدواً للمسيح ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفى رأيى أنه بعيد جداً عن أن يكون عدواً للمسيح إنما ينبغى أن يُدعى منقذ البشرية.

ويقول أيضاً إن العالم احوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد هذا النبى الذى وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات خالد خلود الأبد وإنى ارى كثيراً من بنى قومى قد دخلوا هذا الدين على بينة وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح فى القارة الاوروبية بعد هذه الحرب وإذا اراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين إنه دين التعاون والسلام والعدالة فى ظل شريعة محكمة لم تدع أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبداً وفى كتاب الإسلام فى ضوء التشيع يقول برناردشو إنى أعتقد أن ديانة محمد هى الديانة الوحيدة التى تكون حائزة لجميع الشرائط اللازمة وتكون موافقة لشتى مراحل الحياة لا تمضى مائة عام حتى تكون أوروبا لاسيما إنجلترا قد أيقنت أن الإسلام ملائم للحضارة الصحيحة.

حقائق عن جورج برنارد شو

- كره اسم جورج ولطالما فضل أن يُنادى ببرنارد شو.

- وُلد في دبلن وبدأ العمل ككاتبٍ متدرب في وكالة دبلن العقارية براتب قدره 18 جنيهًا استرلينيًا في العام.
- وصف العمل في سنواته اللاحقة بالمضيعة الملعونة لحياة الإنسان.
- كان متحيزًا أثناء حياته لقضايا إصلاح الأبجدية والاشتراكية.
- صُممت أبجديته الجديدة لتبعد انعدام الاتساق في الحروف الهجائية الإنجليزية وخلف ثروةً كبيرةً لتطوير ودعم أبجديته، ولكنها لم تلقَ جماهيرية.
- كان نباتيًا وعارض انخراط بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.
- بسبب منشوراته المعارضة للحرب استُقصي من نادي الكتاب المسرحيين.

العملاق الادبي

في نهاية القرن التاسع عشر وبدايةً مع مسرحية قيصر وكليوباترا التي كتبت عام 1898، تهافتت كتابات شو من تلقاء نفسها، فقد فاقت إنتاجات الكاتب الناضج كل التوقعات عام 1903 كتب شو Man and Superman والتي حقق فصلها الثالث Don Juan in Hell نجاحًا أكبر من المسرحية نفسها، وغالبًا ما قُدمت كمسرحيةٍ منفصلةٍ كليًا. وفي الوقت الذي كتب فيه شو المسرحيات على مدار ال 50 عامًا القادمة، إلاّ أنّ المسرحيات التي كتبها في العشرين عامًا التي تلت Man and Superman ستبقى المسرحيات الأساسية في مجمل ذكرى مسيرته الأدبية وقد أكدت وجوده أعمالٌ من قبيل Major Barbara عام 1905 و The Doctor's Dilemma عام 1906 ، و Pygmalion عام 1912،

و ndrocles and the Lionعام 1912 و Saint Joanعام 1923 ككاتبٍ مسرحي رائد في عصره. مُنح شو عام 1925 جائزه نوبل للأدب.

وأشهر مسرحيات شو هي بيجماليون، وقد نُقلت الى الشاشة الكبيرة عام 1938،لينال شو عنها جائزة الأكاديمية لكتابة السيناريو واستمرت بيجماليون في ضرب آفاقٍ أبعد في الشهرة، حين قُدمت في عروضٍ موسيقية وأصبحت أغنية، لتقدم للمرة الأولى على مسرح برودواي عام 1956 ، مع ريكس هاريسون وجولي أندروس، وفي ما بعد قُدمت على شاشه السينما عام 1964 ، لعب بطولتها كلٍ من هاريسون وأودري هيبورن.

وفاة جورج برنارد شو

توفي شو عام 1950 عن عمر ناهز 94 عاماَ، وكان حينها يعمل فى مسرحيهٍ لم يكتب له إكمالها.

شو ودنشواى

سافر مصطفى كامل إلى إنجلترا نفسها وانطلق يكتب فى صحفها ويخطب فى محافلها خطبا ومقالات نارية جذبت لدعوته كثيراً من ساسة إنجلترا ومفكريها وعلى رأسهم الكاتب المسرحي الساخر الشهير جورج برناردشو الذي شاركه حملته ضد الاحتلال بمصر ونشر مقالاً بعنوان هذا يوم عار على بريطانيا العظمى وكتبت لوفيجار وتطالب بريطانيا بالاعتذار للشعب المصري.

شو يكتب عن فظائع دنشواى 1906

تأثر الأديب الساخر الأيرلندى جورج برنارد شو بمقالة إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن التى نشرها الزعيم مصطفى كامل فى جريدة لو فيغارو الفرنسية عام 1906إثر حادثة دنشواى ، فكتب برنارد شو مقدمة بعنوان فظائع دنشواى فى مسرحيته جزيرة جون بول الأخرى سخر فيها من سياسة الإحتلال الإنجليزى لمصر ومن سياسة اللورد كرومر ، وأدت مقدمته إلى إقالة كرومر.

كتب برنارد شو يقول حاول أن تتخيل شعور قرية إنجليزية إذا ظهر فيها على حين غفلة فئة من الضباط الصينيين وراحوا يصيدون البط والأوز والدجاج ثم حملوا ما صادوه متاعا لهم مؤكدين أنها طيور برية ، وأن ما رأوه من غضب أهل القرية لم يكن إلا ستارا يخفون به ما يضمرون من كراهية للصينيين ، بل ربما كان مؤامرة للقضاء على ديانة كونفيشيوس لتحل محلها عقيدة الكنيسة الإنجليزية هذا هو عين ما حدث فى دنشواى من أولئك الضباط الإنجليز الذين ظهروا فجأة فى دنشواى وراحوا يصيدون حمامها فى السنة الماضية1905 ، ولقد شكا الناس وإجتمعوا ولكن دون جدوى وعلى ذلك تحركت عائلة محفوظ وهى من العائلات التى تعيش على أبراج الحمام وقد يئست من القانون ، وقد صمم كبيرها وهو شيخ فى الستين واسمه حسن محفوظ ألا يستسلم فى خشوع إلى تكرار الإعتداء.

أما عبد النبى فإنه نظراً لما لحق بزوجته من إصابة فقد إكتفى بالحكم عليه بالسجن مدى الحياة فقط ، ولكن رحمتنا لم تقف عند هذا الحد فإن زوجته لم تعاقب مطلقاً حتى ولم تتهم بسرقة البارود الذى وجد فى جسمها ، ولكيلا يشعر عبد النبى بالعزلة وهو فى حبسه مدى حياته ولم يتجاوز

يومئذ الخامسة والعشرين من عمره ، فقد أرسل معه إلى السجن المؤبد شخص آخر فى سن العشرين.

أما حسن محفوظ فلم يحظ بشئ من هذه العاطفة السمحة فإن فلاحاً مصرياً يجرؤ على معارضة الصيد الإنجليزى ويهدد ضباطاً بريطانيين سادة حين يصيدون حمامة ويضرب بالفعل أحدهم بعصا إنما هو مجرم ولابد أن يكون عبره لغيره ، وليس السجن كافياً لشيخ فى الستين يبدو فى السبعين وعلى ذلك فقد شنق حسن محفوظ ، ورعاية من جانبنا لأسرته رعاية خاصة فقد علق على مرأى تام من بيته ، وكانت زوجته وبنوه وأحفاده يستمتعون بهذا المظهر من سطح داره ، وحتى لا يثير هذا الإمتياز عامل الحقد والحسد فى بيوت أخرى من القرية ، فقد شنق معه ثلاثة آخرين من أهل دنشواى ، ولقد قابلوا الموت فى شجاعة وكرامة ، نطقوا بالشهادة ، ولقد دعا حسن محفوظ أن يخرب الله بيوت ظالميه ،أما محمد درويش زهران فقد كان مستعجلا فصاح بشانقه أن يسرع فى عمله.

ولما لم يكن هناك متسع لأكثر من رجل واحد على المشنقة ، ولما كان يقضى الحال أن يظل معلقاً نصف ساعة للوثوق من دقة العمل ، ولكى يسمح لأسرته بالوقت الكافى لتراه يتأرجح فى الهواء ، وقد كان يدور شيئاً فشيئاً حول نفسه كما وصفته الجرائد ، فكان لابد أن تستمر التسلية والإمتاع ساعتين يشنق فيها أربعة رجال وأن يجلد فى كل نصف ساعة رجلان كل منهما خمسين جلدة.

ونظرا لأن السيد سليمان خير الله قد أعفى من الجلد بسبب صرعه فهو مريض بالصرع ، فقد كان التنفيذ فى محمد درويش زهران مملاً ، فقد ظل ربع ساعة معلقا دون أن يجلد أحد جلد فى ربع الساعة الأول ، وعلى

ذلك فقد كان ينبغى أن تصدر أحكام بالجلد على أفراد إحتياطيين ليقابلوا بهم مثل هذا الظرف.

واستكمالاً لهذا المشهد البشع يذكر الكاتب الساخرالشهير جورج برنارد شو كيف أن السير ادوارد جراى وزير الخارجية وقف فى مجلس العموم البريطانى بعد أن تلقى البرقية حول الأحكام ليهيب بالمجلس فى تأثر ألا ينتقدوا هذه الأحكام أو يستنكروها على أساس أن عبد النبى ومحفوظ ودرويش والباقين كانوا طليعة مؤامرة إسلامية هائلة – كذا – أعدت ضد العالم المسيحى باسم النبى محمد لطرد المسيحيين من آسيا وأفريقيا.

النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) وجورج برنارد شو

حاصل على جائزتي نوبل فى الأدب فى عام 1925 فى كتابه الاسلام الأصل وهو من أعظم مفكرى الغرب حيث اجتازت شهرته حدود بلاده بسبب تعليقاته اللاذعة وفلسفته وتقديره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن أهم مؤلفاته على الأطلاقمحمد عند علماء الغرب-الإسلام فى ضوء التشيع وكان المثل الأعلى للشخصية الدينية عند هو النبى محمد وبلغ به الاعجاب أن حاول أن يكتب مسرحية عن محمد.

يقول أيضاً إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد هذا النبى الذى وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات خالد خلود الأبد وإنى أرى كثيراً من بنى قومى قد دخلوا هذا الدين على بينة وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح فى القارة الاوروبية بعد هذه الحرب وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين إنه دين التعاون والسلام والعدالة فى ظل شريعة محكمة لم تدع أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبداً وفى كتاب الإسلام فى ضوء

التشيع يقول برناردشو إنى أعتقد أن ديانة محمد فهو الدين الوحيد الذى يكون حائزاً لجميع الشرائط اللازمة وموافقاً لشتى مراحل الحياة ولن تمضى مائة عام حتى تكون أوروبا لاسيما إنجلترا قد أيقنت أن الإسلام ملائم للحضارة الصحيحة.

ولقد كتب شو في 1936في الإسلام الحقيقي قائلاً :لقد كنت دائماً أقيّم دين محمد تقييماً عالياً نظراً لحيويته المدهشة .إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي لقد درست محمداً فوجدته رجلاً مدهشاً، ولقد وجدت أنه بعيد عن كونه خصماً للمسيح، بل يجب أن ندعوه منقذ الإنسانية ولقد بدأت أوروبا في أيامنا هذه بفهم عقيدة التوحيد، وقد ينطوي الأمر على ما هو أكثر من ذلك، بأن تعترف بقدرة تلك العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تؤدي للسلام والسعادة، بحيث أنه من خلال جوهر ذلك، يمكنك أن تفهم نبوأتي، وإذا حكمنا على العظمة من خلال قياس تأثير ذلك العظيم على الناس،فينبغي علينا أن نقول إن محمداً هو أعظم العظماء في التاريخ، فلقد وضع حداً للعنصرية والأساطير، وأسس، رغم وجود اليهودية والنصرانية ودين بلاده، أنا أعتقد أنه لو تمكن رجل مثله أن يحكم العالم المعاصر حكماً مطلقاً، فسينجح في حل المشكلات بطريقة ستحقق السلام والسعادة اللذين نحتاجهما كثيراً وقد أكد شو أنه فهم روح الإسلام وأمكنه أن يكتشف القيمة الأساسية في الإسلام،وهي الدعوة إلى المساواة ويبدو أن هذه الدعوة كانت نقطة الجذب الأساسية بالنسبة للأدباء في السنوات الأولى للقرن العشرين.

رائد الأدب الأنجليزى الساخر

الأدب الساخر هو وسيلة للتعبيرعن المعاناة والهموم ورسالة توضيح وتبيان مصلحة الناس المضطهدين ، على اعتبار الكتابة أمانه ورساله وأنتماء ، وهذا النوع من الكتابة، ليس لغرض التسلية والترف ، ولا سلعة

للبيع والشراء ، أنّها للفقراء والمظلومين حين تكون هناك خطوط حُمرْ لا تتيح الأختيار في أستعمال الأسلوب المناسب ، وهو سلاحٌ أقوى من النيران والسيوف ، كم من أقلامٍ لاذعة صنعت ثورات الشعوب ، وغيّرت مجرى التأريخ ، وشيدت معالم وحقائق لا يمكن نسيانها ، فالكتابة الفكاهية الخالية من الحجج والنقد والتي هدف منها الأضحاك فقط ليست نقدا ساخراً بقدر ما هي كوميديا فقط وتهريج ، والنقد المجرد الخالي من البسمة والفكاهة ليس نقداً ساخراً بقدر ما هو مقالة صحفية فالأدب الساخر واللاذع هو التوليف بين النقد والفكاهة وهو الأسلوب المتميّز الذي أختصّ بهِ الكاتب المسرحي برنارد شو.

جورج برنارد شو والنقد السياسي الاقتصادي

إذا كان أريستوفانيس قد اتجه إلى النقد الأدبي وموليير إلى النقد الاجتماعي فإن شو قد شعر بأهمية أن تكون له قضيةٌ سياسيةٌ اقتصادية في مرحلة مهمة من تاريخ تطور أوروبا والعالم من هنا لا تزال أحاديثه وتعليقاته تعيش معنا حتى اليوم، فضلاً عن أعماله المسرحية الكوميدية.

أوجاع برنارد شو وعيون النقاد

كان برنارد شو يمقت الأشياء الفاقعة وينظر الي العاطفة الغرامية الملتهبة نظرة تشكك واستخفاف, قال في هذا الصدد: ان العواطف التي تخرج من فرن النفس وهي تفح حرارة لا تلبث أن تنطفيء, ويعود القلب بارداً كالخشب المحترق.

لهذا استبعد شو من مسرحه المشاهد الغرامية, كما استبعد الجريمة لأنها ـ في رأيه ـ لا تؤدي الي دراما فعالة, أما الجنس فله فيه موقف طريف كان قد تزوج من امرأة غنية, أصرت علي ألا تقوم بينها وبينه أية علاقة

جسدية وقد احترم شو هذه الرغبة, ولم يحاول أن يحمل الزوجة علي تغيير موقفها, فظلت عذراء طيلة فترة الزواج.

ويقول شو بصدد علاقته الجنسية, انه لم يعرف الجنس حتي بلغ الأربعين حين جاءت سيدة فاغتصبته وهو راقد علي كنبة ومع ذلك فقد عرف شو ممثلتين شهيرتين احداهما: الين تري, والثانية مسز باترك كامبل, وهذه الأخيرة وقع شو في غرامها بالفعل, طبعا مع ايقاف التنفيذ, وكانت تعرفه تماما, ولا تغرها مواقفه المتشبثة بانكار فضل العاطفة علي الفن وعلي البشر كانت تقول رأيها صراحة في أعماله, وكان هو يعرف أنها غير مخدوعة بهذه المواقف قالت له ان أدبه تنقصه العاطفة وان هذا الأدب قد كان خليقاً بأن يصبح أكثر انسانية لو أن شو عاش حياة زوجية عادية, وأنجب أبناء. وقد اعترف شو بصحة هذا الرأي وكتب يقول: لا تصدقي الايرلندي الكذاب يعني نفسه فقد ظل يكتب ويكتب إلي أن تحول إلي آلة تفكر.

ومع ذلك فقد ظل شو يتطلع الي نموذج من المرأة تعلو علي الجنس. وجسد هذا النموذج في احدي مسرحياته الشهيرة: كانديدا, حيث ربة البيت متزوجة من قس فاضل يذوب فيها عشقاً, ولكنها تتطلع الي أحد الشعراء الرومانسيين جاء يزورها ودخل من أجلها في عراك عاطفي مع الزوج أدي الي أن يطلب الزوج المفاضلة بينه وبين هذا الدخيل, فقررت الزوجة أن ساخرة أن تعرض نفسها في المزاد علي أن يكسبها من هو أشد الاثنين حاجة إليها. وبعد أن يدلي كل من الرجلين بأقواله تقول كانديدا إنها تختار أضعف الاثنين, ويتهلل الزوج فرحاً, فهو في رأي نفسه أقوي المتنافسين, ولكن الزوجة سرعان ما تحرره من هذا الوهم وتقول ان زوجها هو الأضعف, ورغم فصاحة وانطلاق كلماته في عظاته الدينية أما الشاعر

فهو الأقوي بالفعل إنه يملك شعره وحياته وإرادته, وينظر بازدراء الي الحياة البيتية الرتيبة التي يحياها القس في كنف زوجته, الأم, المحبة المدللة لزوجها.

كان شو قد تمادي فجعل كانديدا والشاعر ينامان علي سرير واحد, لا يفصل بينهما إلا حد السيف, فلم يحدث بين الاثنين لقاء, وقد استفز هذا المشهد غير العادي احدي صديقات شو, فقالت له ما معناه ان سيدتك الفاضلة هذه تتمحك بالجنس وسمتها البغي السينتمنتالية.

والواقع ان برنارد شو في طول صرحه المسرحي الكبير وعرضه مفتون بنساء متنوعات المشارب والآراء. في مسرحيته المعروفة: الانسان والسوبرمان يجعل الشابة الفياضة العاطفة والحيوية آن هوايتفيلد تطارد شاباً اسمه جون تانر رأت فيه كل ما تتطلب من زوجها المقبل فهو ذكي, لماح, مثقف, وهو لهذا يصلح لأن يكون أباً لأولادها وكان شو أيامها يغازل فكرة إنتاج السوبرمان الذي يحدث بعد لقاء بين رجل فائض الذكاء وامرأة فائضة الحيوية, فوضع الشاب والشابة في موقف كوميدي, المرأة فيه تطارد الشاب بلا حياء, والرجل يفر منها حرصاً علي حريته فهو يعلم أنه ما ان يسلم بأن يكون زوجاً لها, حتي تتسيد عليه وتسخره لغرضها الأسمي وهو: أن تلد السوبرمان, وكان برنارد شو يعول علي فكرة أن عددا من نظرائه سوف يعلون بمستوي البشر كان شو أيامها يقول ان طبقة السوبرمان هي التي يجب أن تسود العالم وتنقذه من قماءته الحالية. وكان يصرح بقول مشهور وهو أنه في مواضع الغرام فإن المرأة هي التي تطارد الرجل, وليس العكس,لذلك ينتهي الطراد في المسرحية وجون تانر يهتف بأعلي صوته: خذوني إلي بلد يكون فيه الرجل محمياً بالقانون من مطاردة المرأة.

يعالج شو موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة من زاوية أخري, في مسرحيته الانسان والسلاح, في المسرحية جندي سويسري مرتزق, يري أن الحرب مهنة لا علاقة لها بالشجاعة قط, بل انها أحيانا تدعو الي النذالة وتحبذها, وفي مقابل هذا الجندي بطل بلغاري شجاع يري أن الحرب إقدام ومجد, لهذا فهو يندفع إلي قتال خصومه غير هياب ويضحك منه هؤلاء الخصوم حين يندفع الي المعركة كالثور الهائج, ويتوقعون أن تحصده البنادق فور أن يصبح في مرماها غير أن مفاجأة طريفة تكون في انتظار الجميع, فإن المسئول عن تمويل أعداء هذا الضابط البطل, يقدم لهم ذخيرة مغلوطة, ومن ثم يعجز هؤلاء عن أن يحاربوا عشر دقائق كاملة كانت كافية لأن يمزق الضابط أعداءه شر ممزق اذ ذاك يضطر الجندي السويسري الي الهرب ويتصادف أن يلجأ الي بيت ضابط بلغاري كبير, ويدخل غرفة نوم ابنته ويرغمها تحت تهديد السلاح علي أن توفر له الحماية ومن خلال الحديث الذي يدور بينهما تتبين الابنة أن خطيبها ليس شجاعا كما قدرت, وانه في الواقع شخصية منقسمة علي نفسها, فهو يدعي أنه يؤمن بالحب الأسمي الذي يكنه لخطيبته, بينما هو في الواقع ضجر بهذا الحب, ويفضل عليه غراماً واقعياً عادياً بخادمة حبيبته الشديدة الواقعية أما الخطيبة فإنها هي الأخري تتخلي عن الاعجاب بالبطولة الموهومة لخطيبها, وتتبين الحكمة الشديدة التي ينظر بها الضابط السويسري إلي الحب والحرب والعلاقة بين البشر وهكذا يضرب شو أهدافاً كثيرة ويحطمها, أو كما يقول هو نفسه ينزلها إلي الأرض بعدما كانت موضوعة علي أرفف الاعجاب.

لا يتخذ شو هذا الموقف الواقعي في مسرحياته وحسب, بل هو اتخذه أكثر من مرة في واقع الحياة فحين نشبت الحرب العالمية الأولي واندفع

الانجليز جميعاً إلي قتال الألمان وهبوا يحرضون علي كراهيتهم, فضل شو أن يقف موقفاً متعقلاً, ففرق بين الجنود الألمان المعتدين وبين ألمانيا البلد الشامخ الذي أنتج المثقفين والموسيقيين والنابهين في الفلسفة ودعا إلي أن يكون الكره موجهاً للحرب وأدواتها, وليس إلي الثقافة وعمدها وقد أثار هذا الموقف الرصين كراهية غلاة الوطنيين الانجليز, وطالبوا بأن يقدم شو إلي المحاكمة بوصفه متعاوناً مع الأعداء ولم ينقذ الرجل من هذا المصير المزري سوي مقامه العالي بين أدباء العالم ومفكريه.

وكان لشو موقف هو أقرب الينا من موقفه السابق, وذلك حين اندفع يهاجم المستعمرين الانجليز المسئولين عن فضيحة دنشواي, فندد بهم, ووقف إلي جوار شعبنا وقفة بطولية مشرفة.

كذلك دافع برنارد شو عن أعماله المسرحية ضد عنت الرقابة, وذلك حين أخرج للناس مسرحيته المهمة: مهنة مسز وارين التي تدور حول البغاء المنظم وتوضح في شجاعة لا ترحم أحداً أن الدعارة تنشأ لأن المجتمع الذي يقوم علي أساس من مصالح الرجل يري مصلحة له في أن يكون هناك بغاء وبغايا وحين تمثل مسز وارين أمام القضاء متهمة بأنها تدير شبكة من دور البغاء تمتد من بريطانيا إلي أوروبا, ويتحالف معها فيها أحد الارستقراطيين الانجليز تدافع المرأة عن موقفها وعن مهنتها معا, وتلقي بالاتهام الجارح في وجوه قضاتها. تقول: لست أنا البغي وانما أنتم البغايا ولو كنتم جادين حقاً في محاربة البغاء لما ترددتم علي دور الخنا في السر, ثم خرجتم منها لابسين قناع الشرف, مسددين أصبع الاتهام إلي من هم ـ علي الأقل ـ صرحاء مع أنفسهم ومعكم لا يقولون شيئا ويأتون عكسه, كما كان دأب الأشراف ومن لف لفهم في العهد الفيكتوري الذي جمع بين التزمت الفكري الواضح, والانحلال الكامل في السر.

لم يقبل رقيب المسرح أيامها أن يجيز مسرحية تعري مجتمعاً بأسره من ملابسه المزوقة, فلم تخرج المسرحية إلي النور, وظلت حبيسة أدراج شو ما يقرب من ثلاثين عاماً لا الرقيب يعدل عن موقفه معها, ولا شو يتزحزح عن موقفه المستند إلي المبدأ وظل هذا هو الحال إلي أن تنازلت الرقابة عن موقفها وسمحت للمسرحية بالتداول.

تلك كانت الأوجاع الأقل أهمية في حياة برنارد شو, وفي هذه الحياة أوجاع أكبر شأنا, منها شعور هذا الكاتب العظيم بأنه ظل يحرث البحر طيلة الأعوام الأربعة والتسعين التي امتدت إليها حياته, كان علي رأس هذه الآلام شعور لازمه في أواخر حياته بأنه بدد حياته سدي في الدعوة إلي فكرة لم تتحقق أبداً تلك هي فلسفة الجماعة الفابية التي انضم اليها شو في مستهل حياته السياسية وكان الفابيون يعتقدون ان الانسان حيوان عاقل يستمع إلي صوت العقل اذا ناداه ويستجيب للمناقشة حول قضايا مهمة مثل توزيع الثروة في البلاد كان الفابيون يعتنقون مبدأ التسرب السلمي إلي جميع الطبقات من أشدها غني إلي أشدها فقرا ويرفضون فكرة غيرهم من المفكرين والعاملين في هذا الحقل بضرورة استخدام القوة لفرض التوزيع العادل للثروة علي منتجيها وقد ظل شو يعتنق فكر الفابيين إلي أن تبين له عقمها فليس الانسان مهيأ لاستخدام العقل في تصريف أموره وانما هو يسير وراء مصالحه وحسب ولما نشبت الحرب العالمية الأولي, اصيب برنارد شو في مقتل انهار مبدأ تقديس العقل واعتماده وسيلة للتغيير الاجتماعي فجأة تحول الانسان أمام أنظار شو إلي سفاح تقطر الدماء من يديه ومن أسلحته كانت هذه الحرب طريقة بشعة اتخذها الرأسماليون الجدد, ممثلين في ألمانيا لاعادة توزيع الأسواق.

وبالنسبة لرجل ظل طيلة حياته يعتمد العقل وسيلة وغاية كانت الحرب خراباً واسعاً وكارثة فكرية, ولكي نعرف مدي الضرر الذي ألحقته الحرب بنفس شو وفي عقله, علينا أن نعود الي بعض ما كتب في فضيلة العقل وأهميته فهو في مسرحيته الخماسية: العودة إلي متوشالح التي يمتد زمنها من أوائل القرن العشرين إلي عام33000 يري ان الانسان سوف يصبح عند هذا التاريخ عقلا فقط بلا جسد سيعيش اذ ذاك في دوامة دائمة الحركة سماها شو: دوامة الفكر الخالص, في سبيل هذه الدوامة نظر برنارد شو إلي الفن والأدب بوصفهما لعباً من ألعاب الانسانية في دور الطفولة.

والآن ها هو ذا العقل ينهار وينتحر, ولا يبقي لشو إلا أعماله الفكرية والمسرحية والنقدية اذ ذاك عكف برنارد شو من جديد علي فنه المسرحي وأنتج سلسلة من المسرحيات لا يكاد المثقف العادي يعرف شيئاً كثيراً عنها, رغم دلالتها الواضحة وأهميتها المسرحية وقد أجد فرصا مناسبة للحديث عن بعضها في مناسبات قادمة.

بيجماليون لجورج برنارد شو: العلم وحده لا يكفي

الحكاية في الأصل هي حكاية نحات قبرصي يدعى بيغماليون، وحكاية فاتنته أفروديت وبينهما التمثال الذي نحته لها مخلّدا جمالها. لكن هذه الحكاية التي قد تبدو بسيطة أول الأمر فتنت الكتّاب ودفعتهم إلى سن أقلامهم وأفكارهم، وهكذا، من أوفيد إلى جان جاك روسو، ومن الإسباني جاسنتو غرو، إلى كاتبنا العربي توفيق الحكيم، نعرف أن عدداً كبيراً من الكتّاب جرب حظه مع هذا العمل... بل وصل الأمر إلى الموسيقيين والرسامين. ولكن الحقيقة تقول لنا إن أياً من هؤلاء لم يوصل أسطورة بيغماليون إلى النجاح الذي أوصلها إليه، وإن في شكل موارب، الكاتب الكبير جورج برنارد شو ذلك أن مسرحية بيجماليون كما كتبها ونشرها

شو في عام 1912، وقدمت للمرة الأولى في باريس في عام 1923، تظل الأقوى والأقدر على استخراج كل المعاني الرمزية لهذه القطعة الابداعية ولقد زاد من أهمية بيجماليون وشهرتها، خلال النصف الثاني من القرن العشرين تحويلها فيلماً عنوانه سيدتي الجميلة ماي فير ليدي مثلته أودري هيبورن وكان أنجح فيلم أميركي في زمنه، حتى وإن كان مناخه إنجليزياً المهم أن بيغماليون كما كتبها جورج برنارد شو، تختلف في الشكل عن الأسطورة الأصلية، لكنها لا تختلف عنها في المضمون أو في المعنى وبالتحديد لأن في هذا العمل الأصلي من المعاني المرتبطة بالإنسان وخلقه والعلاقات البشرية ومفاهيم التربية، ما لا يضاهيه في أي عمل آخر من هذا النوع ولعل أهمية عمل شو تكمن أساساً في كونه عَصْرن الأسطورة وجعل أبطالها أشخاصاً من لحم ودم يعيشون بيننا وكأنهم منا.

تبدأ مسرحية بيجماليون كما كتبها جورج برنارد شو، برهان يقوم بين العالم الأرستقراطي الظريف والصلف في الوقت نفسه، هنري هيغنز، وصديقه الكولونيل بيكرنغ من حول فتاة هي اليزا دوليتل، يلتقيانها ذات يوم فتلفت لهجتها المبتذلة وأسلوبها المشاكس الوضيع في التصرف، نظرهما وهنا يقول هيغنز لصديقه إن في إمكانه، خلال أسابيع قليلة، أن يحوّل هذه الفتاة الشعبية المبتذلة إلى ليدي أرستقراطية حقيقية، ويضيف أن طريقه إلى ذلك إنما هو الاهتمام بتعليمها أناقة الحديث وأسرار اللهجة الراقية وبقية ما تبقى من سلوكيات وعوائد اجتماعية وإذ يقول له الكولونيل إن هذا غير ممكن، منطقياً، يقوم الرهان بين الرجلين وعلى أثر ذلك يدنو هنري هيغنز من بائعة الزهور الصبية اليزا، ويعرض عليها أن يعلمها المنطق مقابل بعض مال يعطيه لها ومال آخر يعطيه لأبيها وهكذا

يصطحبها، في كل براءة، إلى منزله، وتبدأ التمارين على الفور، فيما يشعر هيغنز أنه يسابق الزمن طالما أن الرهان مدّته ستة أسابيع.

غير أن اليزا لم تخيب أمل هيغنز، بل تجاوبت معه ومع ما يريد تماماً إلى درجة أنها خلال التمارين أبدت من الفهم والحذق والذكاء والاستعداد الفطري ما أذهل أستاذها وهكذا خلال الفترة المحددة، بل خلال فترة أقل، نجحت اليزا في الاختبارات التي أجريت لها، وتحسّن نطقها ولسوف نرى أن النطق لم يكن وحده ما تحسّن لديها ولقد تجلى ذلك كله خلال حفلة صاخبة أقيمت في حديقة منزل سفير من أصدقاء هنري هيغنز فإلى تلك الحفلة اصطحب هيغنز تلميذته النجيبة ليقدمها إلى الحفل على أساس أنها دوقة، من دون أن يكشف سرّها لأحد وبالفعل منذ لحظة وصولها إلى القصر وهي في غاية الأناقة والأبهة إضافة إلى جمالها، تتصرف اليزا مثل دوقة حقيقية، نطقاً ولكن فهماً أيضاً وأناقة: تبدو وسط ذهول هيغنز والكولونيل صديقه، وكأنها طالعة من فورها من أرقى العائلات والمدارس الأرستقراطية وإذ يروح الأستاذ والكولونيل يهنئان نفسيهما بذلك الانتصار الكبير، وبنجاح التلميذة وقدرتها على إقناع الجميع بأنها ليدي حقيقية، تكون اليزا قد أضحت في عالم آخر تماماً، فهي انتبهت فجأة إلى أن الرجلين لا يقيمان أي وزن لدورها في النصر حسناً، قد لا تكون مهتمة كثيراً بموقف الكولونيل على رغم ودّه تجاهها، لكن موقف هنري هيغنز يغيظها إلى حد الحزن والدمار ذلك أن الرجل، خلال أسابيع العمل معاً، كان قد استهواها إلى درجة أنها وقعت في غرامه، من دون أن يلاحظ هو شيئاً وها هو الآن يتجاهلها تماماً كامرأة من لحم ودم، معتبراً إياها مجرد مادة أجرى عليها اختباراً ناجحاً صحيح أنها كانت مادة طيعة بين يديه، مثل المادة التي صنع منها بيغماليون الأصلي منحوتته، لكنها في نهاية

الأمر، كائن بشري تحب وتحزن هي تعرف تماماً أنها ليست مجرد دمية مصنوعة والحال أن هذا كله تحسه اليزا الآن، بينما تجد أن هنري هيغنز يعيش خارجه تماماً، فهو المهووس دائماً بعلمه وبانتصاره، ما كان ليخطر في باله أن للمادة التي اشتغل عليها، أي حياة أو مشاعر خاصة ما كان ليخطر في باله انه في الوقت الذي كان ينمي لديها مقدرات لغوية واجتماعية، كان يبعث في فؤادها دفء الحب واليزا إذ تيأس من قدرة هيغنز على فهم ما بها، بعد انتصاره الكبير، تلجأ إلى منزل والدته، السيدة الليبرالية الواعية. وهذه إذ تؤنب ابنها على التفاوت بين نجاحه العلمي وتفاهته الإنسانية، تدفعه إلى التفكير في الأمر ملياً ليدرك - فقط - أن اليزا باتت جزءاً أساسياً من حياته، ولكن ليس على النحو الذي كانت تأمله اليزا وهكذا، حين يتوجه إليها في صبيحة اليوم التالي تائباً مستغفراً لا يكون منه إلا أن يعرض عليها - وهو يعتقد أن هذا قمة الأريحية والحب من جانبه - أن تعود إلى منزله لتعيش معه ومع صديقه الكولونيل كثلاثي عازب وهنا يبلغ الغضب بالفتاة مبلغاً كبيراً، ولا تشعر فقط أن هيغنز يغدر بحبها، بل إنه يغدر بكرامتها أيضاً، وهكذا ترفض عرضه، فهي لا تسعى إلى الحصول على صداقة أو حياة مترفة، بل إن ما يهمها هو الحنان، يهمها أن ينظر إليها بحب لكنه، هو، يرفض هذا تماماً، محاولاً إقناعها بأن هذا الأمر يتعارض تمام التعارض مع طبيعته نفسها وإزاء هذا كله لم يعد في وسع اليزا التي صارت الآن أكثر ثقة بنفسها وقدرة على مجابهة الحياة، إلا أن تخطو خارج حياة أستاذها، معلنة أمامه وسط دهشته الحمقاء أنها ستتزوج شاباً صديقاً له هو فريدي كان يطاردها منذ زمن بعيد كما أنها تعلن أمام هيغنز أنها، من الآن وصاعداً، إذ لم تعد راغبة في العودة إلى

بيع الزهور طالما أن لهجتها الجديدة لا تمكنها من هذا ستصبح أستاذة صوتيات، مثل هيغنز تماماً، بل في التنافس معه.

إذاً، هذه المسرحية الطريفة والعميقة في الآن معاً، اعتبرت، ولا تزال، واحدة من أفضل المسرحيات التي كتبها جورج برنارد شو خلال تاريخه الابداعي الطويل إذ أن النقاد والمتفرجين وجدوا فيها، خارج إطار المسرح الذي طبعها، نزعة إنسانية عميقة ندر أن تجلت لدى كاتب على مثل هذه البساطة: نزعة إنسانية تدفع المؤلف إلى التعبير عن تعاطفه التام مع المخلوق ولو ضد عملية الخلق نفسها أو ضد الفنان المبدع. وكذلك وجدوا فيها تبجيلاً لقوة اللغة انطلاقاً من فكرة أن من يعلم امرأً كيف يتكلم، يعلمه أيضا كيف يفكر وكيف يعي وكيف يستقل بفكره ونفسه، خارجاً من بيولوجيته البحتة.

وجورج برنارد شو هو بالطبع، كاتب مسرحي ومفكر إرلندي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، بكتاباته وحكاياته ومشاكساته، خلال عقود طويلة من السنين، ولا يزال حاضراً اليوم بهذه الأعمال، ولكن أيضاً بشخصيته بعد مضيّ أكثر من ستين عاماً من رحيله ومن أعمال شو الكبيرة كتب عن الرأسمالية والاشتراكية، ومسرحيات مثل كاترين العظمى واندروكلس والأسد والماجور بربارا والإنسان والسوبرمان وجزيرة جون بول الأخرى و رجل الأقدار و تلميذ الشيطان وغيرها.

حادثة مع قس فى كنيسة

تحدَث قس القرية التي يعيش فيها إلى بعض جيرانه فقال له الجار: إنك لم تنجح قَطُّ في إقناعه بزيارة الكنيسة على ما أرى قال القس: إنه حضر

مدرسة الأحد ذات مرة، ولست أنسى أسلوبه في خطابه لأطفال القرية المساكين، مستغرقًا في الاقتصاديات والحيويات وما يسميه بقوة الحياة وكان الأطفال يصغون إصغاءهم الذي لا يحسنه غيرهم قال الجار: أحسبهم كانوا مبتهجين لعلمهم بمن يخاطبهم، وكل ما عرفوه أنه رجل غني صاحب قال القس: إنهم لم يعرفوا عنه شيئًا َ أن يتنزل إلى الكلام مع بضعة أطفال مثلهم ليقول لهم إن الدنيا أكبر من قريتهم الصغرية، وإنهم إذا أحبوا أن يزدادوا علمًا بها فعليهم أن يقرءوا كتُبه ، ُ ثم قرأ لهم صفحة وداعبهم فأضحكهم؛ لأنه كما تعلم ممثل مطبوع ولِد للتمثيل، ومضى القس يقول: وإنني لأستعيد ذلك اليوم فأذكر أنه لم يسألني قَط، ولما عاد بعد ذلك كانت معه نخبة من النباتُ ، فقال إن زوجته كانت تحضرها بنفسها لو أنها عائشة، وقد كان من عادته أن يزور قبرها كل يوم، فيضع عليه نثارة من الزهر البسيط، وينثني راضيًا ووصل إليه خطاب من ناظر مدرسة يستأذنه في اختصار روايته جان دارك لقراءة التلاميذ، فأخبر أصحابه أنه كتب إليه يقول: إنه لا يذكر في الرواية كلمة زائدة، ُ وإن الأطفال إذا كانت قراءة كتُبي بعد نضجهم ميسورة لهم، فالحري أن تبقى هذه الكتب ً بعيدا من المدرسة إن شكسبيركما قلت للناظر قد مسخوه بتحويله إلى موضوع من الموضوعات المدرسية، والدنيا لا ترضى أن تحطم عبقرياتها، فإن العبقرية لا تُخلَق كل يوم وما قضت ثلاثمائة سنة في تكوينه يعني المدة بين شكسبير وبينه يستطيع ناظر المدرسة أن يفسده في يوم واحد فعارضه جاره وقال إنه على نقيض رأيه يعتقد أن شكسبير قد عاش لاحتضانه في المدارس فابتدره شو مؤكداً أنه بقي في هذه الأيام؛ لأنه هو قد أنحى عليه فعاد صاحبه يقول: حسن، ولكنهم يجعلون اليوم رواياتك موضوعاً للأسئلة في الامتحانات قال: لا أبالي أن يفعلوا ما دام نظار المدارس لا يطبعونها

مذيَّلَة بالتعليقات والشروح، وأحسبني أرسب إذا كانت الأسئلة من رواياتي وأنا نفسي لم أنجح قَطُّ ً ثم عقب مستفسرا: وبعد، فما هو نموذج الأسئلة التي يسألونها عن مؤلفاتي؟ ً قال صاحبه: قد يسألون مثلا هل كان وب أو ولز هو الذي ألَّف المسرحيات ؟ فضحك شو وأجاب: لعل وب كتبها؛ لأنه صاحب ذوق حسن في التسلية والفكاهة، مثل شو أن يكتب ولعل ولز هو كاتب المقدمات وإلا فكيف يتسنَّى لرجل لم يتعلم حرفًا. وعرض الحديث لشكسبيري في سياق الكلام عن التمثيل، وكان محدثه يزعم له أنه ممثل بارع، وأنه لو اشتغل بفن التمثيل لغطى على هنري أرفنج بلا مراء، فقال شو: إنُ الرجل صاحب القريحة يأتي منه ممثل ردئ، وإنني لسوء الحظ قد رِزقت دماغا من أدمغة القرائح، وإلا لصلحت كما صلح شكسبير للعمل في فرقة جوالة وفي جانبي َمِزيَّة أخرى هي أنني على استعداد للعمل المشترك مع غيري، وقد كنت على الدوام قاصر أحاديثه عائد في موعد الغداء الحيلة في الاقتحام والمعارك، إلا أنني لو أبيح لي قادر على تنقيح متن الرواية التي قد أمثلها، قال محدثه: إنني ليدهشني أن تبيح لنفسك تنقيح شكسبير وأنت لا تبيح لمخرجِّ أفلامك أن يبدل كلمة واحدة من كلماتك فأجاب شو: هات لي امرأ أعظم من شو وأنا أبيح له أن يبدل كلامي حتى لا أميزه إذا قرأته لزمه الفراش، فصعد الطبيب واستدعى الطبيب وهو في المدينة لشعوره بتعب الدرج على قدميه لعطل أصاب المصعد قبل دعوته، وجلس وهو يلهث ويوشك أن يتداعى ً في مجلسه، فوثب شو من فراشه وناول الطبيب قرصا من الدواء يزيل التعب، وقال له :إنه يريحك على الأثر، بَيْدِّ أن الآفة كلها معك هي فرط التغذية، فجر ْب أن تمسك عن لحم برنارد شوِ الجزار واكتف بالخضر والفاكهة، وأنت ترى أن عمري ضعف عمرك ولا أزال أنشط منك ْ الم تلحظ كيف وثبت من الفراش في

سهولة وخفة؟ فوافقه الطبيب وأثنى مائة مرة على خفته ونشاطه فسأله شو: أترقص؟ قال الطبيب: لا فأدار شو قرصا موسيقيّا وطفق يرقص على نغماته، وعاد ينصح الطبيب أن يرقص كل يوم ربع ساعة على الأقل، فإذا هو مثله فيً النحافة والخفة وأضاف قائلا: إنكم معشر الأطباء تنصحون المرضى بما لا يوافقهم؛ِ تقولون لساعي البريد امش، وهو يستنفد قواه سعيًا على قدميه، وتقولون لي لا تكتب وأنا بالكتابة أحفظ قواي، ولو انقطعت عن الكتابة كل صباح لتساقطُت كسفًا والآنً وقد أعطيتك مشورة خبير فهات الشلنات الخمسة المقررة للعيادة فابتسم الطبيب وطالبه بجنيهْين قال شو: ويحك! ولَم؟ قال الطبيب: لأنني نجحتً بالحيلة في علاجك؛ فإنني حين ادَعيْت التعب والإعياء أنسيْتُك تعبك وإعياءك وجعلتك تثب وترقص وتريني أنك ناشط وأنك خفيف فضحك شو، واعترف بغلبة الطبيب الباقعة له في ميدانه وحدثوه عن رسم العرايا فأنكره وقال: لعمري ماذا يتعلمون من هذه التجربة؟ إن الحياة لا تفشي أسرارها بدريهمات في الساعة يدفعونها لهذه المخلوقات التي ليس لها حياة وقال ذلك لأنهم يطلقون على حجرة الرسم العاري عنوان حجرة الحياةوحدثوه عن حرق الموتى فاستصوبه؛ لأن مصير القبور جميعا مع الزمن إلى الإهمال والاندثار وقد تتناول أحاديثه أعماق الفلسفة فلايحجم عن الإجابة لتوه .

أحاديثه

اشتهر برنارد شو في أكثر من باب واحد اشتهر بالقصة والرواية المسرحية، واشتهر بالنقد الفني والإصلاح الاجتماعي،واشتهر بالخطابة والمناظرة، واشتهر بالنكتة البارعة والكلمة السائرة في أحاديثه التي تتلاقى فيها الحقائق والأوابد على نسق واحد.

غير أننا إذا قلنا إنه محدِّث بارع وسكتنا على ذلك، لم نظلمه ملكة من ملكاته؛ لأن كتاباته كلها من قبيل الأحاديث التي تصدر عن صاحبها عفو الخاطر، واهتمامه بوقع النكتة في مفاجأتها أشد من اهتمامه بتحليل الحقيقة بعد درسها، ومعظم آرائه مسوق في رواياته على صيغة الحديث المرتجل الذي يرد عليه بحديث مثله فهو محدِّث غير بالنقد النكتة مدافع، سواء كتب أو تكلم، ومحاسبته بغير حساب الأحاديث كالمحاسبة والمراجعة.

قبل كل شيء نكتة فهي ولك بعد ذلك أن تفهم منها ما تشاء، مع إعطاء النكتة حقها من المبالغة أو المفارقة أو الجناس في لفظة ومعناه.

ومن الصعب أن يقال عن رجل أربى على التسعين، وقضى نحو سبعين سنة منها يكتب ويفكر، أنه يرتجل آراءه ولا يرجع فيها إلى رَوِيَّة سابقة، ولكننا نعني بالارتجال هنا أنه تعوَّدَ أن يفوه بما يحضره لساعته عفو الخاطر، سواء ذكر ما قاله فيه من قبلُ أو لم يذكر شيئًا عنه قبل ذلك، فطابع الارتجال هو الطابع الظاهر على كل ما يكتب ويقول، ومفاجأة السامع أهم عنده من مخاطبته بما يألف أو بما ينتظر، وقد يكون الإغراب عنده على المألوف أو غير المألوف الفرجة الجرس الذي ينبه السامع إلى حامله، ثم تتلوه وليس من اليسير جمع أحاديثه الكثيرة في حيز واحد، فقد تحدَّثَ إلى مئات، وسأله السائلون وأجابهم خلال عشرات السنين، فحسبنا من أحاديثه الكثيرة نماذج شتى في وبعض ونستبين موضوعات متشعبة جرى الحديث فيها بينه وبين جاره وصديقه وكلٌّ منها مثال صالح أيام مع برنارد شو صَحَابَتِه، ثم جمعها هذا في كتاب سماه جملة أحاديثه، وفيما يلي دلالة عليها لم نتعمد فيها الانتقاء والتمييز؛ إذ كان الاختيارللدلالة على الحديث المرتجل في جميع الأوقات .

جرى الحديث عن غاندي فقال شو عن نفسه إنه هو مهاتما الغرب وكلاهما كما هو معلوم لا يأكل اللحوم.

لما لقيته في إنجلترا قضيت معه لحظة في حديث غاية في الطرافة، وكان : ثم قال شديد التلطف بي، فسألني عند انصرافي كيف أنوي أن أعود إلى منزلي؟ فقلت له :سأركب سيارة من سيارات الأجرة فلم يقبل هذا وأصَرَّ على أن يدبر لي طريق العودة بنفسه،ودعا بسيارة فخمة يسوقها شاب أنيق جميل الهندام، فحرت ماذا أعطيه حين وقف بي الذي ننفح به نصف الشلن التقليدي على باب داري وأحسست أنه جدير بهبة غير سائقي السيارات، فاعتزمت أن أنفحه بخمسة شلنات، وأدهشني أنه يرفضها، وخُيِّلَ إليَّ أنه يستقلها، ولكنني لم أشأ أن أفسده بالسرف وإذا به يعود في اليوم الثاني ليسأل عني، فسبق إلى خاطري أنه جاء في طلب الهبة المرفوضة، ولكنه أفهمني ونحن ندخل المنزل أنه جاء ليسألني عن راحتي في نقلة الأمس، وأنه أمير صاحب ملايين، وقضينا فترة من الوقت نتحدث عن السيارات، وكل حديثه عن الماكينات يطيب لي على الدوام وتحدَّثَ الجلساء مرةً عن الدعوة الانتخابية في المذياع، فتبيَّنَ أن شو كان يصغي إليها ؛ أتلي ويزجي الفراغ بإعطاء أصحابها درجات في فن الإلقاء، وأنه رضي عن صوت مستر لأنه لا ينمُّ على احتراف السياسة تكلم عن مجتمع رأس المال فقال :إن التنازع أول صفات الانسانية في مجتمعات رأس المال؛ ولهذا تصبح الحياة موحشة عسيرة من ألف وجهة لا تستلزمها الضرورة، ومن ثَمَّ يندر وجود الإنسان الذي يبلغ من ذكائه وكياسته وضبط نفسه أن يسلك طريقه في الدنيا بغير إساءة يلقيها أو يتلقاها، ويمتلئ الجو كله بالدعاوى الكاذبة حتى لا يتهم بالدجل والفساد أحد غير الذي ينشد الحقيقة إنني أنفر من البغضاء، ولكنني لا أوصي بالقناعة

فإذا سمعت الشيوخ يدعون إلى القناعة، فاعلم أنهم عُطل من الفكر أو أنهم منافقون.

إن لم نتفق على الحكومة العالمية، فسوف تأتي : ولما دار الحديث على القذيفة الذرية قال الحكومة العالمية بغير اتفاق على نحوٍ أخطر وأعنف، ستأتي بطغيان دولة واحدة على العالَم بأسره، ولن تكون إنجلترا هي تلك الدولة وتكلم محدثه مرة عن الفن وعلاقته بجهل أسرار الزوجية، كلامًا أكثر فيه من الشروح ها أنت ذا تعود إلى الشروح كأن هذه الشروح تنفع أحدًا فقال شو الناس إن الوقائع وحدها قد تكفينا حيث تخطئ الشروح في معظم الأحوال؛ لأنها تجري في نطاق تفكيرنا المحدود وأذكر مثلًا تلك الشروح التي تعوَّد أسلافنا أن يقنعوا بها ويعتمدوا عليها لقد كانت إلين تيري الممثلة المشهورة تعتقد أنها ستلد طفلًا بعد أن قَبَّلَها واطس، ولم تكن على هذا بالمرأة الحمقاء وكثير من المتعلمين في أكسفورد وكامبردج لا يفقهون شيئًا عن المسائل الجنسية أو يفقهونها فوق ما ينبغي، وكلاهم سواء في الضرر والوخامة

وذكروا أمامه أن القوة أو السلطة مفسدة لأصحابها، فقال :ماذا نتوقع إذا كنا من الحماقة بحيث نضع السلطة بين أيدي الحمقى؟ إن السلطة على كل حال لا تفسد الناس، ولكن الحمقى من الناس إذا ملكوا السلطة أفسدوها وهذا ما حدث مع هتلر والبلاد الألمانية، وهذه هي صناعة اللعب بامتطاء السلطة ولقد عرفت جيدًا تلك القسوة التي يصبها أولئك الآلهة من القصدير على الوادعين والحالمين، ولكنني عرفت كذلك جيدًا تلك الأرواح العظيمة التي تزداد على القوة عذوبة وبساطة، وتتلقى الشبهات والمفتريات وتظل بعد ذلك على عصمتها من الفساد.

وقال عن أهل الصين إنه يحسبهم مستطيعين أن يحاربوا أبدًا ولا يفقدوا ما جُبِلوا عليه من روح الفكاهة ثم قال إن عبادات الصين تحفُّ بها السكينة؛ لأن المعيشة هناك محورها السن لا الشباب، ولست أخالف القائلين إن اليونان هم المسئولون عن هذه العبادة للشبيبة.

وقد حاولها هتلر وها أنت ذا ترى مصير قومه، ونحن في الغرب نخجل من التقدم في العمر، أما الشرقي فإنه يقول لك إذا أراد أن يسترضيك إنك تبدو أكبر من عمرك وحذار بعدُ أن تَهْرِفَ بهذا في محضرسيدة من سيداتنا؛ فقد ترى قبل أن تشعر أن سقف الدار منطبق على أذنيك.

وسائل السوبرمان

أن مناهج الفلسفة الشوئية تدور كلها على محور واحد، وهو عقيدته في التطور الخلاق، وترمي كلها إلى غاية واحدة وهي خلق السوبرمان.

ولما كان سوبرمان شو مزيجًا من المثل الأعلى والبنية البيولوجية، فوسائله قائمة بيننا في عناصرالحياة الإنسانية، وهي موزعة بين المرأة والبطل العبقري، ولا سيما العبقري الفنان.

فالمرأة في فلسفة شو هي الأداة الكبرى للتطور الخلاق، وهي القوة الأصيلة في مهمة حفظ النوع وبلوغ غاياته، وهي قوة دءوب ملحاح تعمل عمل المسخر الذي لا ينصرف عن وجهته، ولا تني ولا تكِلُّ ولا تحجم عن مشقة في سبيل هذه الوجهة التي تنقاد إليها عمياء كأنها لا ترى شيئًا دونها، بصيرة كأنها تراها دون غيرها.

وهو أشبه بالطريدة التي تصطاد ، الخلق أما الرجل فهو وسيلة عرضية في مهمة

منه بالصائد الذي ينصب الفخاخ، وقد أراحته مهمة الخلق من عنائها فانطلق في طلب البأس والمعرفة والثروة والسلطان، وتنوعت همومه

وأطماعه ومزاياه، فأتاحت للمرأة أن تختار منها ما يعينها علىمهمتها، وهي كما تقدَّمَ مهمة التطور الخلَّاق.

ويُولَد البطل ما بين هذا التطور وهذا السباق.

ويُولَد العبقري الفنان كذلك، ولكنه كالفلتة التي تنبت على غير قصد في فرع من فروع شجرة الحياة، ثم تصبح الفلتة مثلًا يُحتذَى وقالبًا يُصَب فيه الأنداد والنظراء والبطل والعبقري يتشابهان في التفدية بكل شيء في سبيل الغاية التي يقصدان إليها، أو ينساقان إليها على غير قصد منهما، والناس ينساقون معهما ولو أهلكتهم مطامع البطولة ومطالب العبقرية.

يجري الحوار بين نابليون وكاهنة الوحي على هذا العودة إلى متوشالح في رواية المنوال:

نابليون :إن العلو يفرض نفسه يا سيدتي .بَيْدَ أنني حين أقول إنني أملك هذه المَزِيَّة لا أصيب العبارة كل الصواب، فالحق أن طبائعي ومواهبي تملكها؛ إنها العبقرية، إنها هي التي تدفعني إلى تجربتها وإنجازها، ولا مناص لي من التجربة والإنجاز، وإنني لعظيم حين أجربها وأدأب على إنجازها، أما في غير ذلك المسعى فلست بشيء.

كاهنة الوحي :حسن، فجرِّبْها وأنجِزْها إذن أتحتاج إلي وحي لتجربتها وإنجازها؟

نابليون :مهلًا فهذه المَزِيَّة تستلزم سفك الدم البشري.

كاهنة الوحي :أأنت إذن جرَّاح؟ أأنت إذن طبيب أسنان؟.

نابليون :مَهْ يا سيدتي إنك لا تقدرينني إنني أعني سفك بحار من الدماء، وموت ملايين من بني الإنسان.

كاهنة الوحي :إنهم لا يسمحون لك بهذا على ما أحسب.

نابليون :كلا، بل هم يعبدونني.

يُقدِم على الصلب ويتضور جوعًا إذا اقتضى الأمر والعبقري كالبطل النابغ فوق سطوح المنازل، ويدرس النساء ويعيش على كَدِّهن وينهك أعصابه حتى ترثَّ كالخرقة البالية بغير جزاء إيثاري نبيل في نسيان نفسه، أناني شنيع في قلة مبالاته بغيره، وهنا تلقى المرأة مأربًا مثل مأربها في العنف والتجرد عن اللبانة الشخصية، وإنه لصدام فاجع في كثير من الأحيان وكلا البطل والعبقري معذور في عنفه وإصراره وانطلاقه إلى الغاية التي لا محيد عنها؛ لأنهما يطلبان ما ينفع الحياة والأحياء، ولا ينفعهما إلا بمقدار ما يحققان من تلك المنفعة الباقية.

غير أن البطل والعبقري قد يتفاوتان في هذه الخصلة، فإن البطل قد ينحرف عن الجادَّة الكبرى مرضاة لكبريائه وسلطانه، ولا يكترث العبقري لجاهٍ أو سلطانٍ إذا حادَا به عن غايته، وهي خلق الأمثلة الجديدة والقيم البديعة في أحلام الناس ثم في واقع الحياة.

وهذه القدرة على خلق الأمثلة الجديدة هي ذريعة التقدم إلى السوبرمان، فإن شو يقول هي القدوة التي تقتدي بها الطبيعة في محاولاتها، ولولا نماذج خلائق الفن يعتقد أن الجمال ونماذج العظمة التي تتمخض عنها العبقرية، لما ظهرت في الطبيعة هذه الأنماط التي تحكيها وتنمو على غرارها.

ثم يأتي السوبرمان وهو إنسان حي ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى، بعد جهد طويل تشترك فيه الأنوثة والبطولة والعبقرية الفنية وهو بنية بيولوجية، يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائة سنة، ويستطيع

أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة، فلا تكون الفاجعة في حياته أنه يموت ساعة نضجه كما يموت

العباقرة والأبطال في طور الحياة الذي نحن فيه، فلا ينتفع بتجاربه ولا ينفع بها الناس.

أن الإنسان كان عسيًا أن ينجب السوبرمان وشيكًا لولا أنه يقيم ويحسب العراقيل في طريقه بيديه، كلما غلبته صغائره فألهته عن غايات الكون العظيم.

ويلوح لنا أن سوبرمان شو ليس بالمستحيل، وأن دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة، وهي أن النوع الإنساني يعظم كلما وسَّعَ الإنسان آفاقَ وجوده، ويصغر ويضمحل كلما انحصر في وجوده المحدود.

قالواعنه

إننا نعرف الرجل من أقوال الناس فيه.

ولكننا نعرفه أكثر من ذلك من أقواله هو في الناس.

لأن الناس قد يغبنونه بعض حقه، وقد يعطونه فوق حقه، وقد يختلفون بل لا بد أن يختلفوا في النظر إليه.

أما أقواله في الناس فلن تظلمه شيئًا في الإبانة عن مبلغ فهمه، وطوية نفسه، وطبيعة خلقه، ومقياسه الذي يقيس به الرجال والأعمال من وحي تفكيره وشعوره وخلجات ضميره.

وفيما يلي طائفة من أقوال المشهورين في برنارد شو

أينشتاين يقول له مهنئًا في عامه التسعين المرح بك من طريقٍ قادت الآخرين إلى الاستشهاد، ولم تَعِظ الناس بمواعظ الأخلاق وكفى،بل اجترأت على السخرية من أشياء يحسبها غيرك فوق أن تُنَال وما من أحد يقدر على عمل كعملك غير الفنان المولود لفنه، وقد فتحت صندوق لعبك فأخرجت منه دُمى لا عداد لها، تماثل الناس ولكنها مع هذه المماثلة ليست من لحم ودم، بل من روح وجمال، وهي في ناحية من النواحي الأخرى

أصدق منا تمثيلًا للرجال والنساء،حتى لتجعلنا ننسى أنها لم تكن من خلقة الطبيعة، بل من خلقة أخذت أولادي يوماً لنشهد تمثيل ماجور بربارا وقال شرشل السياسي المشهور ومضت عشرون سنة منذ شهدناها، وهي أفظع عشرين سنة شهدتها الدنيا تغيَّرَ فيها على وجه التقريب كل نظام إنساني على أحسم ما يكون التغيُّر، وزالت معالم القرون، وبدَّلَ العلم أحوال حياتنا ومظاهر المدينة والقرية، وجرت في ركب هذه الفترة المرهوبة أمور جسام من التطور الاجتماعي الصامت، والانقلاب السياسي العنيف،والاتساع في أسس المجتمع، والإنطلاق الذي لا حد له من الضوابط والتقاليد، والتشكيل الجديد للآراء القومية والآراء الفردية، إلا أن الرواية لم تكن فيها شخصية واحدة تحتاج إلى تصويرها من جديد، وليس فيها كلمة واحدة أو إشارة واحدة يقال عنها إنها قد فات أوانها، وقد دهش أولادي حين علموا أنها قد كُتِبت قبل ميلادهم بأكثر من خمس سنوات إنه في الواقع رجل من أندر ذوي الحس والفطنة في زماننا .

وقال الروائي بريستلي هذا وفي كل زمان، وهو كذلك مخلوق نبيل، واسع الأفق، كريم النحيزة، موفور الشرف والكرامة وكل ما عُرِف به من قوة النقد الهادم وسخرية اللذع والتبكيت لم يَنْخُ به قَطُّ على آحاد من الناس؛ لأنه لا يكنُّ لآحاد الناس غير اللطف والمودة، بل هو قد أنحى به على الأنظمة والعادات والنماذج ومذاهب الرأي والشعور، وما كانت شدته إلا مظهرًا منمظاهر العلنية العامة.

أما في الحياة الخاصة فهو على حصافته لطيف ودود، وهو بالإيجاز رجل جدير بالحب إلى الحد الأقصى وإذا كنا نراه على شبه بالأنبياء الأقدمين وكان مثلهم يعيش على الجراد الخضر والعسل البري، فقد رأينا المظاهر مرة غير خادعة ولا مرائية؛ إذ هو نبي .من الطراز القديم كان

شو ناقدًا فنيًا، ومن خيرة الناقدين الذين عُرِفوا على الإطلاق، خلال عهد لم تكن فيه المسرحيات غير مهزلة صغيرة، أو بقية سخيفة من بقايا المجازات والأحلاميات فرأى من النظرة الأولى أنه قادر على ما هو أفضل جدًا من هذا الهراء، ومضى يعمله، فأفلح في عمله، كما نعلم لفرط سرورنا وارتياحنا، ولم يغيّر قالب الدراما كما صنع تشيكوف، بل غيَّرَ لبابها ومحتواها فكانت النتيجة محيرة للنقاد المعاصرين ونظارة التمثيل، وهي الحيرة التي تفسِّر لنا انتظاره الطويل للفوز في ميدان المسرح، إلا أنه حين أقبل وقت التقدير والاعتراف سحر الملايين بهذه المسرحيات ذات الحوار والمناظرة، وإنه لسحر سيظل باقيًا بعد عصرنا هذا بزمن طويل أَدْعُ لغيري أن يؤدوا فروض التحية : وقال عنه روائي آخَر هو كمبتون ماكنزي للكاتب صاحب الأسلوب الذي لم نعرف نظيره في السلاسة بعد أسلوب سويفت.

هنريك ابسن

الميلاد والنشأة

ولد في 20 مارس 1828 في مدينة سكيين بالنرويج لواحدةٍ من أبرز العوائل ، وكانت تمتلك ثروةً كبيرةً، إلّا أنّه وفي سنّ الثامنة أفلس مصرف والده فاضطروا إلى بيع منزلهم الفخم والانتقال إلى حياة التشرّد وسرعان ما أصبح إبسن انطوائيًّا ومتقلّب المزاج، وتراجع أداءه في المدرسةِ وغادر قريته في سن السادسة عشر.

وفي عام 1844 أصبح صيدلياً مساعداً وفي مدينة جريمستاد عمل كمدير تحرير في مدينة برجن لصالح المسرح النرويجي هو كاتب مسرحي نرويجي من كتاب المسرح العظام في العالم تتسم نظرته للحياة بالعمق والشمول ويتسم مسرحه بدقة البناء والاقتصاد مع تعبير شاعري دقيق وإذا كانت مسرحياته نادراً ما تأخذ الشكل التراجيدي إلا إنها عموماً تتخذ المزاج التراجيدي أو المأساوي الجاد ولقد كتب أولى مسرحياته كاتالينا عام 1850 وجاءت ميلودراما مليئة بالإمكانات التي لم يرها معاصروه.

وفي عام 1851 عمل إبسن كمساعد في مسرح بيرجين ثم سافر إلى الدنمارك وألمانيا لدراسة التكنيك المسرحي. وفي عام 1854 كتب مسرحية السيدة إنجر من ستوارت وهي مسرحية تجري أحداثها في العصور الوسطى في النرويج المعاصرة لإبسن وفي عام 1855 كتب مسرحية تتناول موضوعاً من العصور الوسطى بطريقة رومانسية

انتقل إلى أوسلو بعد 6 سنواتٍ من العمل في صيدليّةٍ ، وامتهن الكتابة حظي بنجاحة الأول في سن 36 بعد أن تلقّى منحةً للسفر ومغادرة موطنه وكتب العديد من روائعه أثناء تواجده في ألمانيا وإيطاليا من بينها Brand

و Peer Gynt و An Enemy of the People و Emperor and Galileanو A Doll's House و The Wild Duck وغيرها عاد إلى بلده النرويج بعد عزلةٍ فرضها على نفسه لمدّة 27 عاماً، وتابع كتاباته حتّى أقعدته سكتةٌ قلبيّة وجعلته عاجزًا في عمر الثانية والسبعين.

بدايات هنريك إبسن

ينحدر كلا والديه نود إبسن ووالدته ماريشين كورنيلا مارتين نيي التينبورغ من عوائل مرموقةٍ في المنطقة وكان هنريك الولد الثاني من بين ستّة أولاد، لكنّه عُومل كالإبن البِكر بعد موت أخيه المبكّر كان له ثلاثة أُخوةٍ هم يوهان أندريسونيكولاي أليكساندر وأولي بوز وأخت واحدةٌ اسمها هيدفيج كان والده نود إبسن تاجرًا ثريًّا يسكن في قصرٍ يدعى في وسط البلدةِ، كان كريمًا يُحسن ضيافةِ الجميع ويعيش حياةً باذخةً لكن كل شيء تغير بعد فقدان ثروته عام 1835.

باعت العائلة قصرها عام 1836 وانتقلت للعيش في منزل مزرعةٍ مهدّم في ضواحي البلدة ثم انتقلوا لاحقًا للعيش في منزل أخيه غير الشقيق في أدمن نود الكحول بعد إفلاسه وانتقاله إلى حياة الفقر، وصبّ جامَ غضبه على عائلته، حيث تقبّلت زوجته انهياره بدون أي ملامةٍ وقد أثّر الفقر عميقًا في هنريك الغلام الصغير ذو الثمانية أعوام، خصوصاً بعد رؤيته تجاهل الأشخاص الذين كانوا يستمتعون بكرم عائلته وتمنّعهم عن مساعدتها، فبدأ في الانعزال تدريجيّا وأصبح عابسًا وغير اجتماعيّ فكان إبسن الصغير يمضي أغلب وقته منعزلًا عن الناس في السقيفةِ أو في غرفةٍ صغيرةٍ مجاورةٍ لمدخل بيته الخلفي مُقفلًا على نفسه يقرأ

الكتب القديمةَ أو يرسم.

ترك إبسن المدرسة في سنّ الخامسة عشر وبدأ بالعمل كتلميذٍ مبتدئ في صيدليّةٍ في جريمستاد ، واستمرّ في العمل لستّ سنواتٍ مكّرسًا وقت فراغه المحدود للرسم وكتابة القصائد.

كتب مسرحيته الشعرية الدراميّة الأولى عام 1849 بعنوان كاتيلينا ، سائرًا على خطى ملهمه الأول ويليام شكسبير .

حياة هنريك إبسن الشخصية

تمتّع إبسن بزواجٍ طويلٍ وسعيد على عكس باقي الشعراء والكتاب الآخرين حيث تزوج سوزانا داي ثيروزين عام 1858 وحظيا بطفلهما الأوّل والوحيد سيجارد بعد عامٍ من زواجهما كما كان لإبسن ولدٌ آخر من علاقةٍ سابقة عندما كان تلميذًا متدرّبًا عام 1846 .

إنجازات هنريك إبسن

انتقل إبسن إلى كرستينيا المعروفة بـ أوسلو حاليًا عام 1850 للتحضير للامتحانات الجامعيّة للدراسةِ في جامعة كرستينيا، وهناك تعرّف على كتّابٍ وفنانين آخرين كان أولي سكوليرود من الأشخاص الذين تعرّف عليهم والذي موّل نشر مسرحيّة إبسن الأولىCatilina ، لكنها لم تحظَ بشعبيّةٍ كبيرةٍ.

التقى في العام التالي بعازف الكمان والمدير المسرحيّ أولي بول ، الذي عرض عليه أن يعمل ككاتبٍ ومديرٍ للمسرح النرويجيّ. كان المنصب الجديد بمثابة درسٍ مسرحيٍّ قاسٍ، تضمّن السفر خارج البلاد لاكتساب خبرةٍ ومعرفةٍ أكبر عاد إبسن عام 1857 إلى كرستينيا ليدير مسرحاً

آخر هناك كان ذلك بمثابة مغامرةٍ مخيّبةٍ للآمال بالنسبة له، فقد زعم آخرون أنّه أساء إدارة المسرح وطالبوا بعزلة من منصبه بالرغم من تلك الصعوبات التي قاساها إلّا أنّه تمكّن عام 1862 من كتابة مسرحيّة Love's Comedyالتي تتكلّم عن الزواج بصورةٍ هجائيّةٍ.

غادر إبسن النرويج عام 1862واستقرَّ في إيطاليا لفترةٍ من الوقت، وهناك كتب براند، وهي مسرحيّةٌ تراجيديّةٌ من خمسة فصولٍ تتحدّث عن قسيسٍ كلّفه تمسّكه بمعتقداته عائلته وفي نهاية المطاف دفع حياته ثمنًا لذلك جعلته المسرحيّة مشهورًا في اسكندنافيا، وبعد عامين كتب إبسن واحدةً من تحفه الفنّيّةِPeer Gynt ، وهي مسرحيّة شعريّة معاصرةٌ تتناول الملاحم الإغريقيّة القديمة ثم انتقل إبسن إلى ألمانيا عام 1868 حيث كتب مسرحية The Pillars of Society ، وعُرضت للمرّة الأولى في ميونيخ، ساعدت المسرحيّة في انطلاق مهنته هناك، وأتبعها لاحقًا بواحدةٍ من أشهر مسرحياته وهى بيت الدمية حيث أثارت المسرحية التي أطلقت عام 1879 الرأي العام الأوروبي ، فقد تحدثت عن الفتاة نورا وسعيها لاكتشاف ذاتها، ومعاناتها مع العادات والتقاليد القديمة المتعلقة بالزوجة والأُمّ وانتقل إبسن إلى روما وألّف مسرحيّة Ghostsمثيرًا المزيد من الجدل حيث تطرّق إلى جوانب جديدةٍ مثل المحرّمات والأمراض الجنسيّة علت أصوات الاعتراضات والاحتجاجات على المسرحيّة، فلم تؤدّى على نطاقٍ واسع إلّا بعد عامين من إطلاقها أما مسرحيته التالية An Enemy of the People فتحدثت عن رجلٍ على خلافٍ مع مجتمعه، قال بعض النقّاد أنّ هذه المسرحيّة كانت بمثابة ردٍّ على ردّ الفعل العنيف التي تعرضت له مسرحيّته الأخيرة.

العودة إلى النرويج

بالرغم من أنّه غادر موطنه محطّماً، إلّا أنّ إبسن عاد إليه عام 1891 ككاتبٍ مسرحيٍّ عالميٍّ و بطلٍ أدبيٍّ بارزٍ حيث أمضى أغلب حياته منعزلًا، إلا أنّه نجح في كسب شهرةٍ واسعةٍ في سنواته الأخيرة ، كما أصبح مقصدًا للسياح القادمين إلى كريستينيا، وأُقيم حفلٌ على شرفه عام 1898 للاحتفال بميلاده السبعين.

عكست أعماله التاليّة جزءاً أكبر من شخصيته، فتحدّثت عن شخصياتٍ تتذكّر الماضي وتعيش عواقب قراراتٍ اتخذتها سابقاً كانت مسرحية The Master Builderهي العمل الأول الذي كتبه بعد عودته إلى النرويج، حيث يصادف البطل امرأةً من الماضي لتحثّه على الوفاء بوعد كان قطعه على نفسه أمامها أمّا مسرحيتّه الأخيرة When We Dead Awakenفكتبها عام 1899، وكانت تتحدّث عن نحّاتٍ يعمل على منحوتةٍ سابقةٍ لاسترجاع شرارة الإبداع التي فقدها.

قائمة أعماله

كاتيلينا(1850)

كوميديا الحب(1850)

ليلة شارع جون(1852)

السيدة إينجر(1854)

العيد في سولهوج(1855)

(1856) Olaf Liljekrans

الفايكنج في ارض هيلجا

(1857) مسرحية عدو الشعب (1882)

البطة البرية(1884)

آل روزمر(1886)

سيدة من البحر(1888)

هيدا جابلر(1890)

البناء العظيم(1892)

أيولف الصغير(1894)

جون غبريال بروكمان(1896)

عندما نستيقظ نحن الموتي(1899)

من أنا..؟

بالرغم من كون ابسن من ابرز الكتاب العالميين في ظهور الاتجاه الواقعي، إلا انه أبدع مسرحيات تتسم بخيال خارق، فمسرحية بيرجنت التي كتبها قبل مجيئه بعامين إلى القاهرة لحضور حفل افتتاح قناة السويس تلبية لدعوة الخديوي إسماعيل- ينسج فيها أروع ألوان الخيال حيث يتتبع مسار بطله وهو فتى ريفي فقير ولكنه يملك خيالا أسطوريا لاحدود له، يتضح عندما يروى على والدته مغامرات خياليه، كما يحلم أن يكون إمبراطور على العالم.

يقع البطل في غرام سولفيج، وفي الوقت نفسه يعشق أخريات أعطين أنفسهن للجن، لذلك يرفض بيرجنت أن ينتمي إلى عالم الجن المشوه من الإنسان، فيهرب إلى عالم آخر حيث يهجر حبيبته سولفيج ويسافر متنقلا من بلد إلى آخر في محاولة ليخلق عالما خاصا به، وأثناء مغامراته وسفرياته لايختار بيرجنت إلا نفسه، وأثناء تنقله في بلدان العالم بحثا عن ذاته يصل إلى القاهرة الكبرى ويقف أمام أبو الهول يسأله من أنا ؟ في محاولة لمعرفة ذاته وهويته.

ويسافر ثانية ليعود إلى وطنه النرويج وأثناء ذلك يعانى كثيرا، إلى أن يعثر على ذاته أخيرا تحقيقا لمقولة أبو الهول اختر نفسك فعثر بيرجنت

ثانية على حبيبته سولفيج وبها يجد ذاته ويعثر على نفسه ويلملم أشلاؤه، حيث ينتصر الحب في النهاية.

حقائق سريعة عن هنريك إبسن

- على الرغم من رحيل ابسن، إلّا أن المسارح في جميع أنحاء العالم استمرّت في عرض أعماله، وتعد مسرحياته Peer Gynt و A Doll's House وHedda Gabler من أكثر المسرحيات التي يتمّ انتاجها في أيامنا هذه.
- لعبت ممثلاتٌ مثل جيليان أندرسن و كيت بلانشيت دور شخصيتيّ واللتان اعتُبرتا من أكثر الأدوار المسرحيّة طلبًا.
- كتب إبسن أكثر من 300 قصيدة بالإضافة للمسرحيات.
- استمرّ عرض أعمال إبسن سنينًا طوال بعد وفاته، فقد جال العالم واختبر هموم وظروف الناس كما لم يفعل شخصٌ من قبل.
- كتب الأديب جيمس لويس أن إبسن أثار جدلًا وتلقّى نقدًا أكثر من أي شخصٍ آخر.
- كان مسرح إبسن واقعيًا، فقد تطرق إلى مشاكل عانى منها المجتمع الأوروبى.

مسرحية براند

عام 1865 كتب هنريك إبسن مسرحيته الحادية عشرة براند التي حاول فيها بعض الشيء أن يخرج عن الإطار الواقعي، بل الطبيعي الذي كان ميز مسرحه منذ بداياته وهو في هذا السبيل قدم شخصية براند الشاعرية،

شخصية المناضل الذي يتنطح إلى أن يكون مثالياً يحارب التردد والاستنكاف عن الفعل، وروح التسوية ومبدأ المنفعة وإبسن من بعد كتابته براند مباشرة، ورغم انه حمّل هذه الشخصية كل ما يتطلع إليه من قدرة المرء على معرفة ذاته وتحقيق هذه الذات بنفسه، انطلاقاً من أن هذا التحقيق هو ما كان يهمه منذ بدأ الكتابة أصلاً، وجد نفسه يقع فجأة تحت تأثير فلسفة كيرك جارد، أحد كبار الفلاسفة الاسكندينافيين في تلك الأزمان ومنذ المسرحية التالية بيرجنت، صارت مسرحيات ابسن مطبوعة بتلك الفلسفة، بحيث ان الشخصيات الرئيسة لديه إنما تمثل صورة مصغرة للمجتمعات التي جعلها التاريخ خاضعة في شكل كلي الى الضغوطات المحيطة والمحبطة. وهذه الشخصيات تناضل وسط هذا المجتمع وقد ألمّت بها أزمة الاختيار كاشفة ضعف الذات ومعضلات التاريخ الشخصي. وهذه الأزمة التي تشكل في الأصل جوهر حياة الفرد لدى كيركغارد، نحا ابسن الى أن يعبر عنها، ولكن في مسرحيات آثر ألا يجعل الأحداث الحقيقية والحاسمة تدور خارج المسرح، ويصار الى التعبير عنها بالحوارات والكلام، بل مباشرة أمام أعين المتفرجين على الخشبة مباشرة وبهذا يكون إبسن فصل مسرحه نهائياً عن مسرح شكسبير أو راسين أو غيرهما من المؤلفين الذين آثروا دائماً أن تعبر الكلمات عن الأحداث.

وهذا كله يبدو واضحاً في بيرجنت، هذه المسرحية التي كتبها خلال زيارته إيطاليا عام 1867، لكنها لم تقدم للمرة الأولى إلا عام 1876، وهي تعتبر فريدة في مسار إبسن، من حيث شكلها الفني، والحيز الزمني الذي تستغرقه أحداثها، و شخصياتها التي تبدو أقرب إلى شخصيات الحكايات الخرافية، إضافة إلى كون أحداثها، التي تتوزع على خمسة

فصول تدور في أنحاء متفرقة من اسكندينافيا، ومن العالم أيضاً، إذ ان ثمة في المسرحية أحداثاً تقود بطلها بيرجنت إلى شمال أفريقيا، ثم إلى القاهرة حيث نراه ذات يوم مسجوناً في بيت للمجانين. والحال أن وجود بيرجنت في هذه المناطق العربية هو ما أعطى الموسيقي إدوارد كريج فرصة لوضع موسيقى السوق العربية في المتتالية التي حملت اسم بيرجنت نفسه وكتبها انطلاقاً من مسرحية إبسن هذه.

إذاً، فإن المتآلفين حقاً، مع الطابع الاجتماعي والواقعي الذي هيمن على القسم الأكبر من مسرحيات إبسن المعروفة، يجدون صعوبة في اعتبار بيرجنت عملاً من أعماله أما هو، ابسن، فقد رأى دائماً أنه في كتابته لهذه المسرحية المتمحورة حول هذه الشخصية، إنما قدم الصورة المضادة تماماً لشخصية براند، معتبراً الشخصيتين وجهين لميدالية واحدة، ترسم من خلال تكاملهما صورة القلق الإنساني وضياع الفرد أمام مجتمع يعامله من ناحية بمثالية، ومن ناحية ثانية، بلا مبالاة .

بيت الدمية لكل زوجة

وصف النقّاد كل مسرحية من مسرحيات ابسن بالقنبلة الموقوتة، فكل منها تفجّر قضية ما وتثير ردود فعل عنيفة، فقد اختار ابسن تمزيق الأقنعة كلها وكشف الزيف الاجتماعي داعيا إلى الاعتدال والوسطية بعيدا عن التطرف.

ففي عام 1879 عرضت مسرحية بيت الدمية التي أثارت غضب المشاهدين فرموا الممثلين بالطماطم معتبرين المسرحية إهانه تمس بمكانة

المرأة، وتهدد الطمأنينة العائلية إذ ترفض نورا الزوجة القليلة الخبرة أن تحيا حياة زائفة مع زوجها المثقف وتكتشف أنه لا يكن لها احتراما حقيقيا ولا يؤمن بحقها في أن تفكر أو تتخذ أي قرار.

فنجد إبسن وقد مزق القناع عن حياة زوجية عاشت فيها الزوجة كاللعبة في البيت أكثر منها شريكة لزوجها الذي لم تدخر أي جهد لتسعده في حين يتعامل معها هو كالدمية التي لا تفهم شيئا، لتكتشف نورا خديعتها في زوجها وتجد أن ما كانت تعتبره سعادة كان وهماً.

ونظرا للجدل الذي أثارته هذه المسرحية فقد استغلتها الحركات النسائية المتطرفة في العصر الحديث أسوأ استغلال في تفسير المسرحية بعيداً عن مقاصد ابسن الحقيقية، ولما قوبلت هذه المسرحية، لاسيما في ألمانيا، بعاصفة من الاحتجاج، اضطرابسن إلى أن يضع لها خاتمة إرضاء للجمهور، ولا تزال المسرحية حتى اليوم تثير جدلاً بين النقاد المحدثين.

أبو المسرح الحديث

لقب هنريك ابسن بأبى المسرح الحديث، وقد انتهج المنعطف الواقعي في أعماله فقد تطرق ابسن إلى قضايا واقعيه وخطيرة يعانى منها المجتمع الأوربي، كما تناول قضايا إنسانيه خالدة تشغل الإنسان عبر العصور، مثل قضية ماهية الحقيقة والفارق بين الحقيقة والواقع أو الصراع بين الواقع والمثال وقضية النفاق الاجتماعي، وغيرها من القضايا التي تثيرها أعمال إبسن المسرحية والتي ليس بالضرورة أن تضع لها حلولاً وهكذا نجد أن دعوة إبسن الاجتماعية في معظم أعماله دعوة إلى الاعتدال والوسطية ورفض للتطرف في كل شيء، كما أنها دعوة للكشف عن أقنعة الزيف الاجتماعي ونبذ النفاق على حساب المبادئ الأساسية التي تضر بالفرد والمجتمع، وقد اتبع ابسن في مسرحه أسلوبا دراميا مميزا عرف بالمنهج الانقلابي بمعنى أن تبدأ المسرحية بموقف في الحاضر ثم تتوالى أحداث من الماضي في العودة لتنسج النهاية المأساوية لأبطال المسرحية وعلى عكس مسرحيتي بيت الدمية والأشباح التي لاقى عرضهما غضب شديد من الجمهور والصحف، فقد لاقت مسرحية عدو الشعب ترحيبا كبيرا وحماسه من الجمهور لدى عرضها والتي ألهب فيها الصحافة والأحزاب والرأي العام باحتقاره، معلناً أن الرأي القائل إن الأكثرية دوماً على حق هو ابرز الأكاذيب الاجتماعية التي ينبغي للرجل المستقل مناوءتها.

هنريك ابسن فى عيون النقاد: هنريك إبسن ...

رائد الدراما الواقعية

يعد الكاتب المسرحى النرويجى الكبير (هنريك إبسن 1828 – 1906) رائد المسرحية الواقعية الحديثة، وقد نهج على منواله كثير من كتاب المسرح، كما أحدث عرض مسرحياته معارك فنية صاخبة أنقسم فيها الكتاب والنقاد إلى فريقين: فريق يحبذ التطور الفنى الجديد، وفريق يتمسك بأهداب القديم واحتدمت المعركة سنوات حتى أنتصر دعاة المسرحية الحديثة الذين كان يطلق عليهم وقتذاك الإبسنيون ، ولهذا استغرب الدراما الواقعية التى وضع أصولها الكاتب النرويجى هنريك إبسن .المجتمع بعد ذلك أخذت قوى إبسن فى الإنهيار وقضى أخر ست سنوات فى حياته يعانى مرضاً شديداً، وعندما مات فى 23 مايو عام 1906 أحتفل بتشييع جنازته أحتفالاً شعبياً كبيراً ونال من التقدير والمجد ما جعل كاتباً مسرحياً قبل برناردشو يقول: لقد وضع شكسبير أشخاص على المسرح ولكن لم يضع ظروفنا على المسرح .
لذا فمسرحيات أهم وأكثر قيمة من مسرحيات شكسبير، ولذلك أيضاً فهى قادرة على إيلامنا بقسوة وملأنا بالأمال فى أن ننجو من استبداد المثل العليا ونطمح فى حياة أعمق وأجمل فى المستقبل.

حول رحلة ابسن المصرية

خطاب الاستشراق وابسن فى الثقافة العربية وابسن ونقد خطاب الاستشراق وهل كتب ابسن مسرحيات سياسية وابسن بعد مائة عام وأدب الرحلة فى مسرح هنريك ابسن ومن النص الأدبى الى النص السينمائى وابسن بين المسرحية والفيلم أثار الناقد والمترجم الدكتور مجدى يوسف جدلاً كبيراً فى طرحه حول مطالبته المخرجين المصريين والعرب بضرورة مواكبة النص الأجنبى لظروف المجتمعات العربية اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً عند تعريب أى نص لمبدع اجنبى مشيراً إلى أن

ظروف المجتمعات الغربية تختلف عما يدور من أحداث فى منطقتنا العربية جاء هذا تعقيباً على بحثى المخرجين المصريين جمال ياقوت الذى كان قد قدم على المسرح المصرى بيت الدمية والمخرجة عزة الحسينى البطة البرية للراحل أبسن وهو ما ا تفق معه الناقد الدكتور أبو الحسن سلام واختلف معه فى جزئية أنه يجب شحذ كل النصوص لمرحلة ما بمعنى اذا كان المجتمع العربى يمر بهذيان فيما يقدم من فنون ليس صحيحاً أن أجىء بنصوص تتماشى مع هذا الانفلات فى حين أكد الدكتور كامل عيد أن كل الشواهد تدل على أن الفن المسرحى المصرى قدم روائع الترجمات المسرحية فى فترة الستينات من خلال مخرجين كبار مشيراً إلى أن المسرح والنصوص الأجنبية حملت روح الابداع المصرى بتقنيات أوروبية. ولم يكن هناك أى خلل فيما يقدم الناقد الشاب الدكتور هانى سلام الذي قدم بحثه حول أدب الرحلة عند هنريك ابسن من خلال نص بيرجنت من خلال استفادة ابسن من زيارته إلى القاهرة عندما دعاه الخديو اسماعيل عندما دعاه كواحد من كبار المبدعين فى العالم لحضور افتتاح قناة السويس لذلك استطاع ابسن ان ينسج ذلك فى تطواف بطل مسرحية بيرجنت وتفاعله مع ثقافة مجتمع يزوره لأول مرة من خلال المغامرة والواقعية والرومانتيكية التى عكسها ابسن من خلال بطل المسرحية أشار الباحث إلى أن الأسلوب عند ابسن له دور كبير فى أعماله إلى درجة أنه يبدو انه غير صادق رغم انه صادق وغير كاذب رغم انه غير قابل للتكذيب اثناء الحكى وهذا يدلل على براعة الرجل فى الحكى والأسلوب حيث يسقط كل هذا التشتت فى عبث الأحداث وقال الباحث ان مسرحية بيرجنت تكشف عن قدرة ابسن على تفكيك مركزية الفكر والثقافة بتناول العمل لمجتمع غير المجتمع وحدث غير الأحداث ومناخ مختلف وهو ما

يعكس أن الثقافات منفتحة على بعضها البعض وأوضح الباحث أن ابسن استطاع أن يتوصل إلى السريالية والحداثة بكتاباته قبل أى مبدع وأديب فى العالم وطرحت الناقدة ايمان عز الدين فى ورقتها قراءة بعنوان من النص الأدبى إلى النص السينمائى حيث بلغت أعمال السينما المأخوذة عن اعمال ابسن الشعرية والمسرحية قرابة 58 فيلماً فى مختلف أرجاء العالم أما الناقد محمود قاسم فقد تناول فى ورقته (ابسن بين المسرحية والفيلم) موضحا انه يأتي فى المرتبة الثانية من الكتاب المسرحيين الذين تحولت أعمالهم المسرحية والشعرية إلى أفلام وهو بذلك يأتى بعد شكسبير متقدماً على برنارد شو وآرثر ميللر وستر ندبرج وتيسنى ويليلمز وأوضح قاسم أن اهتمام السينما بأعمال ابسن يرجع إلى تناسب أعماله مع إيقاع السينما الأوروبية من أجواء اجتماعية ونفسية إلى جانب ان ابناء اللغات القريبة من لغة الكاتب اهتموا بذلك وقد وصل الأمر إلى أن عملا مثل بيت الدمية تم إخراجه خمس مرات للسينما كان آخرها عام 89 وفى مصر تم تحويل مسرحية أعمدة المجتمع إلى فيلم أيام ضائعة عام 65 من إخراج بهاء الدين شرف وتناول الدكتور أبو الحسن سلام حيرة الباحث فى تناول مسرح ابسن مؤكدا ان الباحث يقع فى حيرة عند الشروع فى وضع مجمل المعرفة التأسيسية الظنية المنسحبة أمام تيار المعارف اليقينية التى شمر عنها ابسن أكمام فكره التنويرى ووضعها تحت منظار الدراسة المنهجية التأصيلية مادة وشكلا حيث انه على الرغم من ان ابسن فى مسرحياته يعول على المظهر النقاشى بين الانا والآخر إلا ان ذلك يجعله لا يحصر الصورة فى اطار صراع الافكار ذلك ان ابداع ابسن المسرحى لا يلقي بشخصياته الدرامية فى مواجهة تيار الوعى عزلاء ولكن يجسد تعطش شخصياته الى المعرفة وانفلاتها من البيات الثقافى الى الانطلاق بحرية ودارت ورقة

الدكتور كمال الدين عيد حول (حياة ابسن بين الميلاد والاضطهاد) من خلال مولد ابسن فى عصر سيطرت فيه السويد والدنمارك على الحياة النرويجية مما جعل ابس الصبى فى احدى الصيدليات المناصر للحركة العمالية ضد الرأسمالية يسخر كل كتاباته وموهبته ضد الاجبار والزيف والخداع فكتب مسرحياته كنموذج ومعيار للسلوك والعيش الهادئ المطمئن ووصفت الناقدة الدكتورة فريدة النقاش هنريك ابسن بأنه من أعظم مبدعى المسرح على مر العصور فقد لعب دورا مشابها لدور شكسبير فى تأثيره على المسرح العالمى من المسرح الحى الى السياسى ومن مسرح الشارع إلى العبث ومن الملحمى إلى الوثيقة فهو سيبقي مسرحه شأنه شأن المسرح اليونانى الكلاسيكى قادراً على اضاءة الحياة واثرائها جماليا والتجدد معها والاستجابة لحساسيتها المغاير من ناحية أخرى حضرت الملكة سونيا ملكة النرويج الاحتفال بدأت جولتها بزيارة مكتبة الاسكندرية وشهدت عرض مسرحية بيرجينت بمسرح الصوت والضوء تحت سفح الأهرامات، وهو عمل نرويجى يحكي عن انسان يبحث عن ذاته وعن معنى الحياة ويشق طريقه إلى العالم حتى يصل إلى مصر ويواجه أبو الهول الذى يسأله من أنت وماذا تريد؟ وقد خصص عائد هذا الحفل بالكامل لصالح مستشفى سرطان الأطفال بالقاهرة وقالت ملكة النرويج : عند لحظة وقوفى أمام الأهرامات وأبو الهول شعرت بتعانق الحضارات وعرفت سبب تأثر هنريك ابسن بالحضارة المصرية وأضافت : آمل استمرار التعاون الثقافى بين مصر والنرويج الذى بدأ بمسرحية بيرجينت بالقاهرة، فمثل هذه الأعمال هى الدافع لفهم الآخر والتواصل بين البلدين وأشار لاسه ساسيه سفير النرويج بالقاهرة إلى أن مصر تعتبر المحطة الرئيسة للاحتفال العالمى بذكرى ابسن باعتبار أنه كان الممثل الرسمى للنرويج فى الافتتاح

التاريخى لقناة السويس عام 1869 كما أنه انبهر بالحضارة المصرية القديمة وتأثيرها فى معظم اعمال المسرحية وافتتحت ملكة النرويج معرض نساء ابسن للفنانة نينا ساندباي، الذى يضم عدداً من التماثيل والمخطوطات النادرة المتعلقة بهنريك ابسن، وفي المعرض تم الربط بين كل تمثال وما يقابله من أعمال ابسن .

هنريك إبسن: النقد الاجتماعي وظيفة الخشبة الأولى

في تقديمه لترجمة عربية لمسرحية هنريك إبسن إيولف الصغير، يؤكد عبد الرحمن بدوي أن إبسن: مارد متوحد في صراع دائم مع المجتمع بتقاليده، والناس بنفاقهم وتصنعهم، تمرد على المجتمع، وعارض التقاليد السائدة والمواضعات الاجتماعية التي اصطلح عليها الناس في علاقاتهم الاجتماعية، وأكد الفردية الصلبة الشامخة التي تحرص على حقوقها، وتؤكد استقلالها ضد الناس، والمجتمع، والدولة، وتقفر في وجه كل ما يحد منها، أو ينتقص من ذاتيتها كان الكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن، متشائماً في ما يتصل بالماضي والحاضر والمستقبل، متشائما في ما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة، وعلاقات الفرد مع المجتمع، وامتد تشاؤمه إلى مثاليته، فقد كان في شبابه مثالياً طموحاً، لكنه لم يجد في الواقع غير كل ما يثير قلقه، فتشاءم من الإنسان ومصيره، وإمكان إصلاحه وإصلاح العالم، لكنه لم يكن من الرومانتيك الحالمين ذوي النفوس الرخوة، الذين قلبوا تشاؤمهم إلى عاطفة على الفقراء والمحرومين، لأنه رأى أن ما يحتاجه الإنسان ليس الرثاء والعطف، بل العدالة والغضب من الظلم.

إبسن بين الشرق والغرب:

رحلة إبسن إلى مصر:

تناولت الباحثة النرويجية فيجبث إيستاد رحلة إبسن إلى مصر، وذلك ضمن حلقة بحثي بعنوان إبسن بين الشرق والغرب حيث ذكرت أن هذه الرحلة أثرت عليه كثيراً خاصة وأنه كان يحلم بأن يقوم برحلة مماثلة، فعندما جاءته دعوة الخديوى لم يعط نفسه الفرصة للتفكير، فأخيراً سيقوم بالرحلة مدعواً من الخديوى إسماعيل ممثلاً للملك كارل 15.

وفى رحلته هذه لمصر زار أبو سنبل والكرنك ووداى الملوك وأبيدوس وحين عاد إلى بلده فكر فى كتابه ونشر هذه الرحلة، وكتب بالفعل جزء منها وأسماه أبيدوس عبارة عن شعر ونثر يصف ما رآه فى الرحلة من آثار وصحراء وشعب.

وأضافت الدكتورة أن أبسن أعتبر مصر إحدى الأماكن الفريدة التى تجمع بين عنق الشرق والحضارة والتاريخ وكتب بعد ذلك رسالة إلى سيدة سورية هذا النص الذى أعتبر مكملاً لنص أبيدوس الناقص حيث أكمل إبسن فيه وصف رحلته، فوضع فيه وصفاً دقيقاً لمقابر الفراعنة وآثارهم والجو العام فى مصر فى هذه الفترة وتعامل هذا النص مع التاريخ عن طريق الشعر فكون ملحمة عبرت من خلال الأبيات عن الجمال والعظمة وروعة العصر.

هنريك إبسن يتجدد ويتجسد يتجدد هنريك إبسن ويتجسد، وكأنه قد هرب من زمانه الذي عاش فيه، لكي يتنقل ويتجول بين أبناء هذا الزمان، فقد استطاع المؤلف النرويجي ستاين إريك لوند أن يرسم بقلمه لوحات متناسقة ومتكاملة، تمتزج فيها حياة رائد المسرح العظيم إبسن مع أعماله المسرحية المتنوعة التي أبدعها خلال ما قدر له أن يحيا من سنوات، وأنا لا أعرف الكثير عن المؤلف النرويجي، لكني أعرف أنه قد ولد في العاصمة أوسلو، وحصل على الماجستير من جامعة أوسلو، وهو يعمل

أستاذا منذ سنة 1980وقد نشر ستة عشر كتابا،أغلبها للاطفال وللشباب، وله كتابات أدبية متنوعة، حيث كتب مسرحية، ومجموعة من كلمات الأغاني وعدة قصص قصيرة،هذا إلى جانب مجموعة من القصائد، وهذا ما أهل ستاين إريك لوند لأن يحصد عدداً من الجوائز، منها جائزة براغ سنة 1988وجائزة من وزارة الثقافة النرويجية في مجال أدب الأطفال سنة 1999 وفي سنة 2004حصل على جائزة فيستفولد للأدب النرويجي، كما حصل على جائزة من وزارة الثقافة لأدب الأطفال سنة2009.

الأب الشرعي للحداثة في المسرح المعاصر

إن مكنونات المعرفة التجريبية ،هي جل الركائز والدعائم الفكرية والعلمية والفلسفية التي قامت عليها الحضارة الغربية ، وهي بالتالي التي أدت إلى انبثاق وتطور أهم النظريات التجاربية العلمية التطبيقية ، وازدياد حجم التواتر المجدي والنفعي الكلي في حقول الاختراعات والاكتشافات الكبيرة ، التي ما زالت تنعش الحيثيات اليومية المعاشة في رحم الجدوى الانسانية ، والتي ما زالت تتعاقب وفق تأسيساتها التنظيرية المتواترة ، في تجديد وتنشيط منظومة العقل البشري ، وهي المصدر المهم والملهم للعديد من الباحثين والمنظرين المجددين ، الحداثيين ، ويبدو من خلال استقراء سريع للواقع الغربي ، ووفق التطور التصنيفي الموثق في علومة وثقافاتة وفلسفاته المختلفة ، انه لم يصل الى هذا النوع من المعرفة الا بعد مخاض عسير ، على كافة الاصعدة والمستويات ، الاجتماعية ، و العلمية ، و الثقافية ، والفلسفية ، ومن الجدير بالاشارة اليه هنا ، ان من أوائل الذين اسسوا ركائز ودعائم هذا النوع الجديد من المعرفة هو (فرانسيس بيكون 1626 - 1561 ((Francis Bacon) الذي صاغ وأسس المواطن الاصيلة العامة لطروحات فلسفته الفكرية في

نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر ، اي في تلك الفترة الخطرة من التحولات التروطراقية والفكرية والفلسفية القلقة التي شهدتها الساحة الاجتماعية والسياسية الاوروبية ، في رحمِ عصرٍ انتعشت فيه فلسفة الشك عند رينيه ديكارت الفيلسوف الفرنسي ، الذي يعتبر أيضاً من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة ، من أوائل الذين مجدوا العقل ، ونادوا بتأييد الاتجاه العقلي ، حتى اطلق عليه أبو الفلسفة الحديثة وقد نادت فلسفة ديكارت بالحق الذي برهنت عليه في وضوح ، ومجّدت العقل ايما تمجيد واعتبرته سيد المؤسسين للظواهر الفلسفية ومفسرها المنتج ، وفي معرض حديث ديكارت عن العقل يؤكد قائلاً :

العقل هو أحسن الأشياء توزيعاً بين الناس إذ يعتقد كل فرد أنه أوتي منه الكفاية حتى الذين لا يسهل عليهم أن يقتنعوا بحظهم من شيء غيره ، ليس من عادتهم الرغبة في الزيادة على ما لديهم منه.

وربما سياخذنا هذا الشكل من الطروح العقلية الغربية لاستنباط واستخلاص ما يفكر به العقل العربي على مستوى ميدان ذات الفلسفة في نزعة المظاهر في تمجيد العقل وبداهته واستظهار قيم الشك لاثبات الحقائق الفوقية على اتفاقها الأصيل الناجز الغير قابل للتاويل ، أو المساس بقدسية الذات العليا ، حيث يصرح الامام الغزالي في مدونته المنقذ من الضلال قائلا- :

لقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري ، غزيرة وفطرة من الله .

مميزات أعمال أبسن

الميزة الأولى-: كون أبسن رجلاً حراً في تأسيس منهج طروحاته

المسرحية ، وينحى منحاً اشتراكياً في اطار تفكيره العام ، بمعنى أنه كان يؤمن بالتعدد في التدوال .

الميزة الثانية-: كونه كان ممتلأً حنواً كانسان متمدن حداثي حضاري ، أو ربما هو الحنين الوجداني المبكر للرجوع إلى مناخ الطفولة ، لكن عموماً حتى أكون منصفاً ، ان ما ذهب اليه ابسن في الدفاع عن قضايا الأنثي ، هي محض مواقف انسانية كبيرة ونبيلة ، وربما استطيع ان اسقط بقيمة ضمن اطار الميزة الاولى، التي تناولتها كحجة لابسن ، هي في أداء هواة لمسرحية بيت الدمية عام 1886 في غرفة الضيوف بشقة في منطقة بلومزبري بلندن ، حيث كان جميع المشاركين لا من المرتبطين بالقضية النسوية فحسب ، وإنما كانت لهم أو ستكون لهم فيما بعد انجازات واسهامات كبيرة في الحركة الاشتراكية البريطانية.

الميزة الثالثة-: كان إبسن غالباً ما يربط ويمزج قضية النساء بالمجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية الأخرى ، التي تحتاج إلى عملية إصلاح وتطهير كبيرة ، وكان كثير المجادلة في حلقات النقاش ، وكان يؤشر مواقفه المنبثقة عن ايمان فكري صادق اتجاه الحركة النسوية ومواطن الخلل المجتمعية الأخرى في العديد من المناسبات حيث يقول -: ان كل المهمشين وبينهم النساء ينبغي أن يشكلوا حزباً سياسياً قوياً للكفاح في سبيل تحسين وضع وتعليم النساء الميزة الرابعة :

ان مسألة علاقة إبسن بفكرة الاشتراكية من خلال حقيقة جلية وواضحة تركز على فرض ان الاشتراكية ، والحركة النسوية الناشطة في القرن التاسع عشر ، كانا حليفين قويين يشتغلان على ذات المناطق المهمشة لتفعيلها واستخلاص النتائج من خلال مواطن سباتها الفائت ، ورأى المفكرون الاشتراكيون الأبرز في ذلك الوقت ، رجالاً ونساءاً .

الميزة الخامسة-:

أن المساواة الجنسية الحقيقية تتطلب تغييرات أساسية في بنية المجتمع وتحتاج إلى مراجعة مستمرة عبر الخطاب المسرحي لضمان الابقاء على استمرارها وفاعليتها.

الميزة السادسة-:

ان ابسن كانت له حظوظ توفيق مع المرأه ، وربما تشارك معها في رفض الهيمنة الذكورية على منطقة تبادل السلطات.

الميزة السابعة -:

وربما في تقديرنا هي الميزة الأكثر فاعلية ووقعاً في حياة ابسن المتقلبة بين مواجع الغربة عن وطنه والعيش مضطراً للتعايش خارجه والبعد القسري عن ملاذه الآمن ، لذا قرر ان يحتج ويعلن امتعاضه وبصوت عال ، عبر أعماله المسرحية عن كل تلك التراكمات الاجتماعية المقيتة المترهلة داخل جسد المجتمع ليصار إلى إنقلاب.

الميزة الثامنة -:

لكونه كان شاعراً مجيداً فقد استطاع من خلال اللغة المختزلة الدالة في توصيل أفكارة من أقرب الطرق وأوسعها رحابا ، لذا تمكن من أن يرتدي اللغة ملاذاً لمقاصده النبيلة ، فكانت عملية الاستجابة العالية من لدن جمهور المتلقين خصباً ، وربما كان الجدل عليه أيضاً وافراً فهذا يدل على جدية وعمق طروحاته الفكرية الممسرحة وبالرغم من انه لم يكتب مسرحيات شعرية بعد بيرجنت بل غير اتجاهه فكتب عام 1869 مسرحية فورة الشباب وهي مسرحية كوميدية ساخرة تدور موضوعاتها على الزيف ، والخداع ، وفي العام نفسه بدأ عمله الكبير في مسرحية ملك

الجليل وانتهى من كتابتها في 1873 وقد تناولت موضوع الصراع بين المسيحية والوثنية ، أبان الأيام الأولى للمسيحية في أوروبا في عصر الإمبراطور جوليان ، وهذا يؤكد بداهةً، على أن ابسن كان غزير التناول في طروحات موضوعات أعماله المسرحية الشعرية والواقعية والاجتماعية والتاريخية.

الميزة التاسعة-:

شعور ابسن المبكر بعقدة الذنب لأسباب كان يوقعها بشكل جلي في مجمل أعماله المسرحية حينما تبنى التنظير والتبشير والكتابة لمذهب أومدرسة أو أسلوب الواقعية الاجتماعية أو الدراما النفسية وهذه المسرحيات التي تكتنف أجواءها عقدة الذنب لدى البطل في مسرحية أعمدة المجتمع عام1877 وبيت الدمية عام 1879 ومسرحية الأشباح عام 1881 وعدو الشعب عام 1882 ، ويبدو أن هناك تلازماً واضحاً ما بين عقدة الذنب عند ابطال ابسن وبين شعوره أصلاً بعقدة الذنب في حياته الزاخرة بالتقلبات كانسان ، وككاتب ، ويكشف إبسن عن مظاهر شعور البطل بعقدة الذنب بوسائط وطرق مختلفة ، ليدفعة عنوة صوب طريق التكفير الناجع بالنجاة والخلاص ليبني حياته المستقبلية وفق نظام اجتماعي خلاق ومبني أيضاً على روح الصدق الحقيقية وروح حرية الموقف والفكر والتعبير ، التي اعتبرها أعمدة وركائز ودعائم لبناء مجتمعات حضارية متمدنة خالية من عقدة الذنب بالمرة ، لأن الأبطال الذين سياتون فيما بعد لاتسكنهم تلك المخاوف الهاجسية للشعور بعقدة الذنب لأنهم سيتطهروا منها ، قبل أن يرتكبوها ولقد أثارت النصوص المسرحية المدونة لهنريك إبسن مواقف متعارضة في أوساط النقاد والصحف والجمهور في لندن. فقد عبرت أوليف شراينر الكاتبة والنسوية

الناشطة الجنوب أفريقية البارزة ، عن إعجابها العميق والمقطع النظير بهنريك إبسن حين قالت عام 1884 لقد سمعت جزءاً من مسرحية إبسن الأشباح عام 1881 وهي ما تزال في حيثيات مسودتها ، إنها واحدة من أعظم الأعمال التي لم نرَ مثيلها منذ زمنٍ بعيد .

غير أن مسرحياته واجهت مشاعر رعب وخوف واحباط من قبل العديد من نقاد المسرح في لندن ، وظهرت مقالات تتصدر الصحف تهاجم ابسن ووصفت تلك الصحف ، جمهور مسرحية الأشباح التي عالجت موضوع الأمراض التناسلية وآثام الآباء الذين ينتقمون من أبنائهم ، بأنهم عشاق الشبق والنزوة والنزق الجنسي وغير محترمين لأنفسهم ، وليس لديهم حياء واحتشام وهم أيضاً تواقون الى إرضاء أذواقهم غير المشروعة بذريعة الفن ، ومن جانب آخر نشرت العديد من الصحف وقتها مقالات مطولة تشيد بأعمال ابسن وتدافع عن أفكاره وطروحاته الفكرية والفنية الواقعية ، حيث اعتبرَ الناقد المسرحي البريطاني المعروف هارلي جرانفيل باركر أول إخراج لمسرحية بيت الدمية عام 1889 الحدث الأكثر دراماتيكية في جودة حبك العقدة وتأتى حداثة طروحات هنريك ابسن الفنية من صلب اعتبار جل أعماله المسرحية المدونة هي انعكاس واضح وجلي لمجمل الظواهر الواقعية الاجتماعية والغوص داخل الأعماق النفسية للذات البشرية لاثراء الشخصيات بذلك النسيج الدرامي المتفرد ، فهو نفس تجريبي حداثي على مستوى مائدة الطرح والتناول والتفسير والمعالجة ، ولعل محاولة إعادة تثوير الصراعات النفسية لذات التنشيط المختبري السالف الذي أرغم النقاد على أن يطلقوا عليه لقب فرويد المسرح لتمادية في اخضاع ذوات شخصياته الحية لمجهر التحليل النفسي وتثوير ملامح الانقلاب الواعي على مظاهر

الاضطهاد الذكوري ، كما في رائعته بيت الدميه تلك المظاهر التي رسمها المجتمع حولها ، ولقد تكررت تلك النزعات الثورية الآنية الاجتماعية في كبرى أعماله المسرحية ، التي اعتبرت بنسيجها الجديد ثورة على التقاليد البالية القديمة في تقديم الظاهرة الاجتماعية السيئة ومعالجتها بأشكال مسرحية مختلفة ، تختلف اختلافاً كليا ، على مستوى جل المعالجات الثيمية والحكائية والحوراية والفلسفية ، عما ظهرت عليه في الاشكال المتعددة من خلال انتعاش المدارس والمذاهب والاساليب الادبية والفنية المتعددة المختلفة ، ومدى قابليتها على معالجة ذات الظواهر الاجتماعية ، بوفق المواصفات التنظيرية المعتقدة في مناطق اشتغالها الدرامية عند هنريك ابسن ولم يعرف المسرح الغربي بالعموم معنىً اصيلا لعملية التحرر من قيود المسرح الأرسطي والانسلاخ عن مفهوم المحاكاة الكلاسيكية إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين من خلال انتعاش التناول الحثي التجريبي وظهور العديد من المدارس والمذاهب المسرحية والفنية والثقافية والنقدية التي استهدفت الثورة بالاجمال على المسرح اليوناني ، ومفاهيمة التقليدية ، كما ازمعت هذه المذاهب وبأدوات أدبية علمية تجريبية ، للتخلص من الفلسف العقلانية المغلقة ، المبنية على المنطق ، وعلوم الكلام ، والابتعاد بالمرة عن مبادئ المذهب الكلاسيكي القديم برمته .

دراسة البعد الجدلي عند ابسن

يقول ابسن مرة في رسالة: كل ما أبدعته، يرتبط تقريبا بما عايشته وليس ما رأيته كما أن أحد شخصيات المسرحية ليس بالضروري أن تعبر عنه، لكن قد تكون مماثلة له أو تذكرنا به لقد قال شخصياً أن بريندا وبيرجنت كانا هو أو جانبا منه أصبحت شخصياته نماذج أدبية، موصوفين

بدقة ، نحسهم وكأنهم شخصيات حقيقية، وكأن المؤلف يكتب عنا، نلاحظ أن الشخصية في كتاب أو على خشبة المسرح تتصرف كما يمكننا أن نتصرف نحن أو تقول شيئاً يمكننا أن نقوله أو فجأة تقوم بأشياء غير متوقعة، وصفها النقاد بالقنبلة الموقوتة لما تفجره من قضايا تبحث عميقاً في مستويين الإنسان والمجتمع مثيرة ردود فعل عنيفة من قبل النقاد، وحرب خطابية تحدث خلال المناقشة السياسية لكن الجدل يحدد الحياة السياسية على الأقل في بلد ديموقراطي أصدقاء وأعداء ومعارضين سياسيين منقسمين سواء يشاركون أو لا يشاركون في اختلاف الآراء والحجج على نطاق أوسع في خضم الإديولوجيات المتزامنة، وعلى هذه الأسس المعارضة فإنهم يتداولون أو يناقشون القضايا المختلفة لتعريف النزاعات العائلية أو الفردية إن كلمة الحرب في نقاشاتهم وفي بعدها السياقي لا تزال قائمة على سبيل المثال في مناقشة المشاكل الجنسية والنفسية والعاطفية التي تواجهنا ونواجهها باختيارات مختلفة وآراء ووجهات نظر مختلفة، نناقش ونتداول تلك المواضيع ونواجه تناقضاتنا.

في عالم مثالي، الجدل يؤدي إلى إعادة تشكيل وإصلاح ما فسد من الحياة السياسية إلى الوجود الذاتي لكن الجدل، كما نعلم جميعا، يبدأ من جديد عندما يكون التكوين الجديد، والهيكل الجديد للقرار وللحل الوسط مرفوضاً ببساطة لأنه ليس صالحا بعد الآن.

لذلك فإن الجدل هو لحظة صراع كما هو أزمة العمل وإمكانية العمل والأداء يتعلّق في لحظة الإنفعال الأداء فكريا يتم استيعابه عبر الحوار حيث يتم طرح ومناقشة طرق جديدة للعمل لاصلاح الوضع.

عرضت مسرحيات هنريك ابسن بطرق متعددة كما أثارت جدالات مختلفة من الناحية السياسية والوجودية لأنها تصف وتمسرح أزمة العرض وهيكل الحياة وأنماط من الوجود لشخصيات مختلفة من شأنها تهديد سلامتهم الجسدية والفكرية.

أبرزت تقنية ابسن الاستعادية قدرته على ابداع أكثر في الولوج لتلك المناطق المعتمة في النفوس البشرية، وسبر أغوارها بطريقة محكمة ، متماسكة وشاعرية واضعاً الاصبع على الجرح المستتر كاشفاً له بجرأة لا متناهية تلك التقنية التي في حد ذاتها أداة بسيطة بالنسبة له ، استخدمها على نطاق واسع في مسرحياته أتاحت له كشف المفارقة التي تحوم وراء النظام المثالي التي تبدو مستقرة ومعروضة بشكل جيد في المحيطات البورجوازية أما بالنسبة للإضطرابات السياسية فلقد شكلت انطباعاً عميقاً على ابسن وفي رسالة إلى براندیس الناقد والباحث الدانماركي، الذي كان يتمتع بنفوذ كبير على الأدب الاسكندنافي والأوروبي يقول ابسن إن الانطباع الذي تلقيته الصيف الماضي من رحلتي في النرويج، وملاحظاتي لما كنت أراه في الوطن أزعجني لفترة طويلة، إلى أن توصلت لفهم مستقل من تجربتي ووضعت استنتاجاتي إن كان من الممكن تحويل أفكاري إلى أعمال من وحي الخيال بعد أشهر علّق في رسالة كتبها للشاعر السويدي سنويلسكي يقول فيها: إنني شرعت في كتابة مسرحية والتي هيأت لها سابقاً بدراسة متأنية حين كنت في النرويج كما أضاف في رسالته يقول، وكما لاحظت من جراء المحادثات أن الدولة لا يقطن فيها مليونان من السكان بل مليونان من كلاب وقطط.

لم يكن ابسن سياسياً، كان فناناً، مهمته اظهار الصراعات بين الناس والصراعات التي يمكن أن تتواجد في الفرد لم يكن يرى أنّ مهمته إيجاد الحلول كما لا يريد أن يُصنف سياسياً مرة في عام (1870) اتهم بأنه محافظ، حينها أجاب بهذه القصيدة.

يقولون صرت من المحافظين .

أنا ما كنت طوال حياتي.

لا أنحاز إلى تحريك بيادق الشطرنج.

تغيير اللعبة يربكني، بعدها ستعرفون مكاني

ثورة واحدة فقط أتذكر

لم يقم بها غشاش غبي

جلبت النصر لاحقاً للجميع

بالطبع قصة الفيضان العظيم

رغم أن ذلك الوقت،

حتى ابليس قد انخدع

في تاريخ الطغيان

يا راديكاليين ... كلامي هذا إليكم

دعونا نفعل ذلك مرة أخرى.

لكن هذا يتطلب رجالا ومتكلمين

يسببون فيضانا على أرض العالم

وأنا بكل سرور

أضع طوربيدا تحت سفينة نوح

الكثير من المؤلفات الأدبية كتبت في ذلك الوقت حول عرض الحياة، تسمى بالنزوع الطبيعي في النرويج، كانت أملي سكرام ويوناس لي، النمادج الأولى في هذا الاتجاه الكاتب رائد المذهب الطبيعي في أوروبا، كان الفرنسي ايميل زولا لكن ابسن كان فقط يزدرء من زولا، وأعرب عن اعتقاده بأن الفرق بينه وبين زولا هو أن زولا يغوص في أسفل المجاري ليستحم فيها بينما أنا أغوص لتنظيفها لأن مسرح ابسن كان متميزاً مثيراً للجدل لكن ليس في اتجاه واحد، بل من تيارات مختلفة في المجتمع، يصب هجوماً وإستنكاراً واضحاً للتيار المحافظ، والنفاق الاجتماعي والدوغمائية الدينية بالطبع، مسرحياته قد تقرأ وتفهم كذلك، لكن البعد الجدلي قد يكون أكثر غموضاً حرب من الخطابات، وتباين في التفسيرات، شكّلت الأرضية الرئيسية له في أعماله المسرحية، حيث يتناول إبسن أثر المجتمع المتكلف على الفرد وتأثيره على الآخرين وعليه كاشفاً كم أن نظام الفكر في خطر كتقويض الهوية في بيت الدمية، نورا تواجه تناقضات بداخلها ، كما يشير

ابسن بوضوح عندما جعلها تهجر بيتها، أنها المسؤولة عن ذلك التصرف، والآن تشعر أنها سجينة سلوكها بالنسبة لنورا مسألة الحرية والتحرر ناتج عن رغبتها في خلق عالم مثالي بدأ في الانهيار كا إرادتها في الموت تستولي عليها شيئاً فشيئا بدت الحرية ليس اختيارا مبنيا على أساس الحكم الذاتي ولكن مجرد تفكير وقرار دون ترو للمغادرة بدل من تنفيد الانتحار انهالت المقالات النقدية ومنها من رأى أن نورا لم تكن قادرة على اتخاذ القرار ، مجرد دمية فارغة الرأس ،لأنها في نهاية المسرحية لم تعد تعرف نفسها بالطبع تصرفها الثوري حطم نظام المجتمع التقليدي في أشباح، يمكن للمرء أيضاً قراءة مسار أوزفالد في صراعه المتكرر ضد مرض يتعذر وصفه والكرب الذي دمر حياته بعد أن تأكد من الطبيب أنه يعاني من مرض الزهري ما هو أكثر إثارة للانتباه هو أن إدراك أوسفلد الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الموت (على الأقل موت القوة العقلية)، وفقدان الإيمان ، بل حتى كلمة الأب لم تعد تعني له شيئاً لم يعد باستطاعته الابداع بل أصبح يخشى من نهاية مؤلمة وتنتهي المسرحية بمشهد الابن ألفنك المؤلم وهو يطلب من أمه أن تعطيه جرعات دواء مميت لتخلصه من العذاب من خلال أوسفلد، الأجهزة الأيديولوجية خرجت عن المسار، لأن هذه الشخصية المسرحية ، تنفد نهج التصنع لبناء النقاش في نهاية المسرحية يمكن للمشاهد أن يرى كيف هو عمل ابسن في تكثيف اللحظة الشعرية الحرجة حين يكرر أوسفالد كلمة الشمس، رمز الفكر الملتو، والشمس الحقيقية تشرق في الخلفية هنا ابسن يخلق التناقض اللفظي مدمجاً المعنيين في إشارة واحدة الشمس الطبيعية سيظل الأمر غير ممكن للوصول إليها كالحرية، وكتحقيق الذات، لكنها واقفة وراء ظهر أوسفالد، كسخرية لحاضر مرعب هكذا هي مسرحياته المثيرة للجدل والهجومية

على النفاق الاجتماعي، وعلى التقاليد والأعراف، كما تعزز تكوين الفرد الفعال في المجتمع، والاحتمالات أو الاستحالات لاصلاح وضع الحياة لدينا مسرحية أشباح كنقد عن تحسن النسل الطبيعي، المدينة الفاضلة من النقاء والتي كانت الحجة الرئيسة لإيديولوجيات القرن العشرين يمكن للمرء أن يرى أن ابسن يظهر ويجعل الخطابات المختلفة مرئية وجدلية تشكل الواقع السياسي، ويركز اهتمامه على تنظيم الذات في المجال العام وانه يشدد على خطر الديماجوجية، والفائض من الشفقة في النقاش الاجتماعي فالتمرد الشخصي محكوم عليه بالفشل، لأننا بالنضال نحارب بنيتنا الفكرية عندما كتب ابسن، في مذكرة عن مسرحيته المشهورة الأشباح التي سخر فيها من رياء المجتمع النرويجي وانحلاله وتفككه، يقول أن الإنسان هو منتج اصطناعي وأن الأمر مجرد جنون العظمة في المطالبة بالإنسانية المناسبة مرة أخرى، سيكون إبسن متقدما بفارق كبير من جمهوره المشاهدون يعرفون أنما يحدث على خشبة المسرح ليس من الواقع، مجرد ممثلون يلعبون أدوارا، لكن لا يزال المشاهدون يقعون تحت الدهشة في جميع أنحاء العالم وذلك ما يسمى بالموضوع الأبديّ في الأدب هناك شيء يعرفه الجميع في قاعة المسرح؛ أن لديهم وجهات نظر ومشاعر مرتبطة وعندما يكون المرء جالسا في قاعة المسرح، يفكرّ بطبيعة الحال بطريقة لا إرادية، في أمه أو أبيه أو ابنه أو ابنته ، أو كلهم معا كما يقارن المرء وضعيته بما يجري على خشبة المسرح إن هذه الأشباح التي تحدّث عنها ابسن، هي نفس الأشباح التي تعرض لها في حياته واحد من هذه الأشباح طفله الذي انجبه مع الخادمة في جريمستا شبح آخر أبوه الذي أفلس عندما كان صغيرا، والثالث هو تورمود كنودسن بورجيوردا الذي ربما كان على علاقة مع والدته ، وشائعات بعض الناس

التي تقول أنه كان والد ابسن الحقيقي لكن معاصروا إبسن آنذاك لم يفهموا مضمون مسرحية الأشباح رأوا فقط الأشياء القبيحة التي لم يورد ابسن ذكرها بالاسم مواضيع لم يكن من المعتاد الحديث عنها ، ما نسميها بالمحرمات كذلك النقد لم يوجه إلى ابسن الفنان وإنما إلى شخصيته كإنسان عادي أصبح ينظر إلى ابسن كإنسان سيء مادام أتاح لنفسه أن يكتب عن مثل هذه الأمور كل المسرحية ينظر إليها عبارة عن عمل شرير من جانب إبسن من الصعب معرفة إلى أيّ مدى أنّ النقد السّيء ونفوذ المعارضة يؤثر على فنان لكن من غير شكّ أن ذلك أوقع انطباعا على ابسن لإساءة فهمه إلى أبعد حد كان ابسن يريد المناقشة والحوار تمنى أن يقول للناس أنه ليس كل شيء كان جيدا في الجزء الخلفي من ثوب واجهة المنازل تمنى أن يظهر ما رآه كما تمنى بالتأكيد أن يقدم للجمهور مسرحية جيّدة وألاّ يوصف من قبل الجمهور بالشر.

يكتب ابسن مسرحية عدو الشعب مصوراً فيها الخداع الذي تمارسه المجتمعات البورجوازية حفاظاً على مصالحها، وعن التضليل والتخلف المتفشي في منتجع صغير على شاطئ البحر يكتشف الدكتور ستوكمان أن مياه حمامات المنتجع مسممة أول الأمر احتفل لاكتشافه الأمر، لكن عندما فهم سكان المدينة أن المكان سينخفض دخله بسبب الحمام الذي يجب اغلاقه، كما أن شقيقه الحاكم المستفيد من المشروع سيحاربه ويجعل الصحافة تنقلب ضده، فقد ستوكمان شعبيته واتهم بأنه عدو للشعب يطلب الفرصة الأخيرة في خطاب العامة وجها لوجه، لكنه تعرض للسب والشتم واتهموه بعدائه للشعب وقبل أن يغادرهم خاطبهم قائلاً: قلت إنني سأتكلم على الاكتشاف العظيم الذي قمت به خلال الأيام القليلة الماضية وهو أن مصادر حياتنا الروحية مسمومة جميعها وأن مجتمعنا كله يرتكز على

أساس مهلك من الكذب إن أشد أعداء الحقيقة والحرية خطراً بيننا هو الأغلبية الحمقاء لا تمتلك الأغلبية الحق إلى جانبها أبداً إنها إحدى الأكذوبات الاجتماعية التي يجب أن يثور رجل ذو فكر حرّ ضدها أية فئة تشكل أغلبية السكان في هذا البلد؟ هل هم الحكماء أم المغفلون؟ أظن أننا نتفق على أن فئة المغفلين تشكل أغلبية جارفة في هذا العالم الكبير لكن لا يدوم حكم المغفلين للحكماء إلى الأبد للأسف فالأغلبية تمتلك القوة لكن ليس الحق أنا على حق وكذلك بضع آخرين على حق لن أهدر كلمات على جمع ضيق الصدر ومتذمر ومتخلف عن ركب الزمان لا تنفع الحياة التي تنبض معهم شيئاً تلك كانت كلمات ابسن المليئة بالألم لما تعرض له من كلمات نابية من النقاد، فكانت على لسان الدكتور ستوكمان.

لإيجاد الجواب الصحيح للخروج من المعضلة التي يقودنا إليها ابسن، ببساطة يمكننا قراءة النص بعناية ، تحليله ايبوستيمولوجياً واجتماعياً وسياسياً ومراقبة الطريقة التي يمكن للمرء بسهولة بناء أعمال قد يكون لها تاثيراً مدمراً على الواقع والأدب هو الوسيلة للحساب، وإعادة التشكيل التي توفر لنا فرصة لانتقاد لحكم المتقن الصنع الذي لدينا وللعالم الأدب يتيح لنا السلاح للتصدي وللمقاومة في حياتنا اليومية، في الوقت التجريبي،وللتحيزات، وللمتصيدين في الماء العكر وللروح المحبّبة تحت سطوة التعقيد فالنص الأدبي خطاب يخترق كل الأيديولجيات والسياسات ويتصدى لها لغاية إعادة صهرها في احتفال بالذكرى العشرين لسقوط جدار برلين، قال الكاتب والفيلسوف الفرنسي اندريه جلوكسمان علينا ألا ننسى جميع الجدران التي مازالت واقفة، وفوق ذلك جميع الجدران التي في العقول والتي تسبب دائماً في تنوير الجدران الحقيقية في هذا السياق

جدل ابسن علماني وعالمي، لأنه يلغي ويهزم داخل عقل كل قارئ تلك الأجهزة الإيديولوجية التي سحقت انسيانيتنا في الماضي والحاضر.

لقد مر أكثر من مئة سنة حين كتب ابسن مسرحياته الرائدة التي تصب في دراسة واقع الحياة المعاصرة طرح موضوعات ما زالت تتحدث إلينا نحن الذي نعيش اليوم كتب عن النساء والفنانين، وعن السياسيين ورجال الدين، عن الرياء والنفاق وازدواج الضمير كل ما كتبه عن السلوك البشري لم يتغير فالإنسان هو الإنسان رغم اختلاف الحقب لذلك ما زالت مسرحياته نعيشها وتعيش فينا فمازال الغرب يعيش ازدواج الضمير، ومازال الشرق يغط في سبات الأشباح على جميع المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية، ومازالت دورة الحياة في غابة الإنسان مبنية على القوي يأكل الضعيف باسم الامبريالية أو الاستعمار أو الديمقراطية منذ بداية خلق الانسان وتبقى المدينة الفاضلة محبوسة في حلم أفلاطون وتبقى مسرحيات ابسن خالدة مع خلود الإنسان.

ويليام شكسبير

الباب الأول

ميلاد ونشأة وليم شكسبير

ولد شكسبير في سنة 1564 وكانت أمه ماري آردن، من أسرة قديمة في يوركشير، وقد قدمت إلى جون شكسبير، ابن مستأجر أرض والدها، صداقاً ضخماً نقداً وأرضاً، وأنجبت له ثمانية أطفال كان ثالثهم وليم وأصبح جون من رجال الأعمال الأثرياء الناجحين في ستراتفورد على نهر الآفون، واشترى منزلين، وخدم بلده ذائقاً للجعة، ومسؤولاً عن الأمن، وعضواً في مجلس المدينة، ومساعداً لمأمور التنفيذ، وأحسن إلى الفقراء بسخاء وبعد 1575 انحطت موارده، وأقيمت عليه دعوى من أجل ثلاثين جنيهاً، وأخفق في دفع التهمة عنه، وصدر أمر بالقبض عليه في 1580 لأسباب مجهولة، ومثل أمام المحكمة ليقدم ضماناً بعدم الإخلال بالأمن وفي 1592 سجل اسمه ضمن الذين لا يحضرون إلى الكنيسة شهرياً طبقاً لما نصت عليه قوانين صاحبة الجلالة واستنتج بعضهم من هذا أنه كاثوليكي عاصي، وآخرون أنه كان بيوريتانياً، كما استنتج غيرهم أنه لم يكن يجرؤ على مواجهة دائنيه استعاد وليم فيما بعد مالية أبيه، ولما قضى الوالد نحبه 1601 بقي في شارع هنلي منزلان باسم شكسبير هناك تكهنات وروايات عديدة عن طفولته أشهرها: أسطورة ستراتفورد الشائعة، وهي أن الوالد ربى ابنه لبعض الوقت في مدرسة مجانية ولكن سوء ظروفه وحاجته إلى مساعدة ابنه له في موطنه

أجبرتاه على سحب ابنه من المدرسة، وفي المرثية التي ظهرت في مقدمة طبعة فوليو الأولى لروايات شكسبير، قال بن جونسون يخاطب منافسه الذي مات لقد تعلمت قليلاً من اللاتينية، وأقل من اليونانية، فمن الواضح أن الكتاب المسرحيين اليونانيين ظلوا على حالهم يونانيين بالنسبة لشكسبير أي لم يطلع عليهم، ولكنه تعلم من اللاتينية ما يكفي لملء رواياته الصغيرة بشذرات لاتينية وتوريات ثنائية اللغة وهناك أسطورة أخرى سجلها ريتشارد ديفيز حوالي 1681 وصفت وليم الصغير بأنه كثيراً ما كان سيئ الحظ في سرقة الغزلان والأرانب، خاصة من سير توماس لوسي الذي كان غالباً ما يجلده بالسوط، وأحياناً يسجنه.

في 27 نوفمبر 1582 عندما كان شكسبير في سن الثامنة عشرة، حصل هو وآن هاثاواي، وكانت هي في سن الخامسة والعشرين، على إذن خاص بالزواج ويقال أن أصدقاء آن أرغموا شكسبير على الزواج منها وفي مايو 1583 أي بعد زواجهما بستة أشهر، ولدت لهما طفلة أسمياها سوزانا، وأنجبت آن فيما بعد للشاعر توأمين تحت اسم هامنت وجوديث في 2 فبراير 1585ويحتمل أنه حوالي نهاية نفس العام هجر شكسبير زوجته وأولاده ولا يوجد أي معلومات عنه فيما بين عامي 1585-1592، حين كان ممثلاً في لندن.

حياة شكسبير

تلقَّى شكسبير دراسته الابتدائيَة في مدرسة ستراتفورد، ثم التحق بثانويَّة إدوارد السَّادس، وفي سنِّ الثَّامنة عشر غادر مقاعد الدِّراسة ودخل المجال العملي، وانقطعت أخبار حياته بعد ذلك لمدَّة من الزمن ، تزوَّج شكسبير من السَّيِّدة آن هاثاوي في عمر الثَّامنة عشر، وكانت تكبره بثماني سنوات، وأنجب منها: سوزانا، والتَّوأم هامنت وجودث عمل وليم شكسبير كممثِّل بفرقة تمثيل للمسرحيَّات اسمها رجال اللُّورد تشامبرلين في لندن، وكتب أيضاً عدداً من المسرحيَّات في وقتها، وكانت هذه الفرقة من أكثر فرق التَّمثيل شعبيَّة في المدينة، ومن أوائل المسرحيَّات الَّتي كتبها شكسبير: مسرحيَّة ترويض النَّمرة، وريتشارد الثَّالث، وروميو وجولييت.

زوجة شكسبير:

عاشت آن هاثاواي زوجة شكسبير بين (56/1555م- 6 أغسطس 1623م) كانت زوجة ويليام شكسبير، تزوجا عام 1582م، ولا يعرف الناس عنها الكثير حيث لم يُعثر على شيء عنها غير ذكرها في بعض المستندات القانونية لكن حياتها وعلاقتها بويليام شكسبير كانت موضوع بحث العديد من المؤرخين والأدباء.

أهمية شكسبير

لا يمكن مقارنة الشهرة التي اكتسبها أي كاتب آخر بشهرة شكسبير عالمياً على كافة المستويات، فقد دخل إلى جميع الثقافات والمجتمعات الأدبية والفنية والمسرحية في كل بلدان العالم وقد اعتمد في مسرحه وشعره على العواطف والأحاسيس الإنسانية، مما عزز من عالميته واستمراره فأبطال مسرحياته المأساوية شخصيات تتميز بالنبل والعظمة والعواطف الإنسانية، وتؤثر في الجمهور والقراء أينما كانوا ولاتزال الشخصيات الكوميدية تضحك الجمهور لما في تصويرها من ذكاء ودقة وفكاهة وتترك شخصياته النسائية، مثل كليوباترا وجولييت والليدي ماكبث وروزالند وبورشيا وبياتريس وميراندا، أكبر الأثر عند القراء وجمهور المسرح والسينما أينما كانوا وتكمن براعة شكسبير في القصص المثيرة التي يستخدمها في مسرحياته، والمخزون الغني من الشخوص التي يمتزج فيها الخير والشر والعاطفة والعقل، واللغة الشعرية البليغة، والبراعة في التلاعب بالكلمات والألفاظ، والمفردات الجديدة وتعود أهمية شكسبير إلى أنه الابن النجيب لفكر وفن عصر النهضة الأوربية بإمتياز فهذا الفكر الذي عالج جوهر الإنسان الفرد وموقعه في الكون ودوره في الحياة، على كافة الأصعدة، إنعكس بتجلي في مسرحياته، ولا سيما في المرحلتين الثالثة والرابعة؛ وما شخصيات هذه المسرحيات، على تنوعها وتباينها إلا تعبير عن معاناة الفرد في واقعه وتوقه إلى الانعتاق من أي قيد يعرقل تفتحه وطموحه ويتجلى نضج شكسبير الفكري والفني في صياغة الصراع الذي يخوضه الفرد بين نوازعه وغرائزه وطموحاته وبين ظروف الواقع المحيط والحتمية التاريخية

فلا توجد في مسرحيات شكسبير شخصيات معلقة في الهواء، بل هي دائماً ابنة واقعها بتجلياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلى الصعيد الفني كان شكسبير نفسه ابن واقعه ومعطياته، وقد تجلت عبقريته الفنية في استيعاب الأشكال الفنية التراثية والمعاصرة والشعبية وإعادة صياغتها استجابة لمتطلبات العصر ولشروط الممارسة المسرحية في دور العرض الفقيرة بالتجهيزات المسرحية آنذاك ومن هنا خروجه على القوانين الكلاسيكية الوحدات الثلاث وتأكيده على الحبكة المزدوجة، بل الثلاثية أحياناً، كما في حلم ليلة منتصف الصيف، ومزجه المرهف بين الواقعي والخيالي وبين العواطف والأهواء المتضاربة، واستخدامه الشعر والنثر في العمل المسرحي الواحد وبمستويات لغوية مختلفة حسب طبيعة الشخصية وموقعها الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى التأكيد على تعدد أمكنة الأحداث وفتح الزمن من دون أية تحديدات تقيد حريته إن من يتعمق في أعماله يتلمس بشكل واضح أن شكسبير ابن إرهاصات الثورة الصناعية لازدهار الاقتصادي والانفتاح على العالم الواسع تلبية لطموح الفرد الجديد، ابن أواخر عصر النهضة.

التشكيك في أصالة شكسبير

الجدال في أنه قد يكون هناك شخص آخر غير ويليام شكسبير من مدينة استراتفورد على نهر ايفون في انجلترا هو كاتب الأعمال المنسوبة إليه يقول المؤيدون لهذه النظرية أن شكسبير كان مجرد واجهة لإخفاء الكاتب أو الكتاب الأصليون الذي لسبب أو آخر لم

يتقبل سواء برضاه أم لا مفخرة العامة وعلى الرغم من جذب هذه الفكرة للرأى العام ، فلقد اعتبرها كل دارسي شكسبير ومؤرخين الأدب عدا مجموعة قليلة مجرد اعتقاد خاطىء ولقد تجاهلتها الأغلبية وأحياناً استُخدمت للتقليل من قدر هذه الإدعاءات .

شُكك في أصالة شكسبير أولاً في منتصف القرن التاسع عشر، عندما انتشرت ظاهرة تملق شكسبير بكونه أعظم كاتب في التاريخ وبدت سيرة شكسبير الذاتية خاصة أصوله المتواضعة وحياته المغمورة متعارضة مع سموه الشعري وسمعته كنابغة، مما أدى للتشكيك في كونه كاتب الأعمال المنسوبة إليه ونتج عن هذا الجدال جزع كبير من الأدب، وقدم أكثر من 80 مرشح على أنهم أصحاب الأعمال، منهم فرانسيس بيكون والايرل السادس لديربى وكريستوفر مارلو والايرل السابع عشر لاوكسفورد.

يجادل مناصرو المرشحين الآخرين كل على حدة أن مرشحهم هو المؤلف الأجدر بالتصديق وأن شكسبير كان ينقصه التعليم والإحساس الأرستقراطي أو ألفة البلاط الملكي الذي كما قالوا كثرت في الأعمال وأكد دارسوا شكسبير رداً على هذه الادعاءات أن تفسير الأدب من حيث السيرة الذاتية لا يمكن الاعتماد عليه لتأكيد أصالة الأعمال، وأن التقارب في الأدلة الوثائقية المستخدمة لإثبات أصالة شكسبير هو نفسه المستخدم لإثبات أصالة أي أعمال أخرى في عهده ولا يوجد أي أدلة قاطعة مثل هذا لأي من المرشحين الآخرين، ولم يتم التشكيك في أصالة شكسبير في عهده أو لقرون بعد رحيله .

وبرغم إجماع الدارسين، شكك عدد قليل ولكن ذو أهمية عالية من المؤيدين يتضمنهم شخصيات عامة بارزة، في العزو التقليدى فهم يسعون للاعتراف بالتشكيك في أصالة شكسبير كفرع شرعي للتحقيق الثقافى ولقبول واحد أو أكثر من المرشحين الآخرين لأصالة الأعمال.

أعمال شكسبير

يمكن تقسيم أعمال شكسبير إلى أنواع رئيسية، وهي: الملهاة، والمسرحيات التاريخية، وأنتج شكسبير أهم أعماله المشهورة ما بين عام 1589م-1613م، حيث كانت مسرحياته الأولى ذات طابع تاريخي وكوميدي، ثم بدأ بكتابة العديد من الكتب المأساوية حتى عام 1608م، حيث كتب عن المآسي الكوميدية التي تعرف باسم الرومانسيات، ومن أهم مؤلفاته ما يأتي:

ماكبث عام 1605-1606م.

تاجر البندقية عام 1596-1597م.

روميو وجولييت عام 1594-1595م.

جعجعة بلا طحن.

الليلة الثانية عشرة أو كما تشاء.

حكاية الشتاء (مسرحية).

ريتشارد الثاني.

وقام شكسبير بإنتاج معظم أعماله المعروفة في الفترة بين 1589 و1613وكانت مسرحياته الأولى تركز على الكوميديا والتاريخ، وكانت تعدّ من أفضل الأعمال التي تم إنتاجها من هذا النوع ثم بعد ذلك، حتى حوالي 1608، اتجه إلى الكتابة التراجيدي، فقد كان من ضمن اعماله في تلك الفترة هاملت، عطيل، الملك لير، وماكبيث، وكلها تعدّ من أفضل الأعمال في الأدب الإنجليزي على الإطلاق وفي المرحلة الأخيرة من حياته،اتجه إلى الكتابة في الكوميديا التراجيدية (المعروفة أيضًا باسم الرومانسيات) بالتعاون مع كتاب مسرحيين آخرين.

نُشرت العديد من مسرحياته في طبعات واصدارات مختلفة الجودة والدقة في فترة حياته وفي عام 1623، نشر اثنان من زملائه الممثلين وهما جون هينجز وهنري كونديل، نصاً محدداً معروفًا باسم First Folio، وهو اصدار لمجموعة من أعمال شكسبير الدرامية التي تم جمعها بعد وفاته والتي تضمنت معظم المسرحيات التي نعرفها عنه الآن. وقد تم نشر هذا المجلد مرفق معه قصيدة كتبها بن جونسون، حيث يشيد الشاعر بصرامة الكاتب المسرحي في مقولة مشهورة له الآن وهي ليس لهذا العصر، ولكن لكل العصور.

تراثه :

يتم إعتبار شكسبير من جانب العديد من المراقبين أهم كاتب في اللغة الإنجليزية و هو أيضاً واحداً من الأشخاص الأكثر تأثيراً.

من خلال أعماله، كان له الفضل في إدخال ما يقرب من 3000 من الكلمات إلى اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى ذلك، فإن أعماله هي ثاني أكثر الأعمال التي يتم الإستشهاد بها في العالم الغربي بعد كتابهم المقدس.

فترة تفوق شكسبير

لقد جاءت قصة روميو وجوليت إلى إنجلترا من قصص مازوتشيو وباندللو وأعاد آرثر بروك صياغتها 1562 في شعر قصصي، ونقلاً عن بروك، وربما عن رواية أخرى أسبق في نفس الموضوع، أخرج شكسبير للمسرح روايته روميو وجوليت حوالي 1595وأسلوبها محشو بأخيلة وأوهام ربما علقت بقلمه من نظم قصائد السونيت، فجاءت المجازات جافة شاذة، ورسمت شخصية روميو بشكل ضعيف إلى جانب مركوشيو المنفعل المهتاج وحل العقدة عبارة عن سلسلة متصلة من السخافات ولكن من ذا الذي يذكر الشباب، أو يرسب في أعماقه حلم، يستطيع أن يستمع إلى هذه الموسيقى العاطفية الرومانسية الحلوة، دون أن ينبذ كل معايير الثقة والتصديق، وينهض لاهثاً أو حابساً أنفاسه نحو الشاعر وهو يشق طريقه إلى هذا العالم بما فيه من غيرة جامحة وقلق مرتجف، وفناء حزين والآن يسير شكسبير من نصر إلى نصر في عالم المسرح، في

كل عام تقريباً ففي 7 يونيه 1594 أعدم ردريجو لوبيز، طبيب الملكة اليهودي، بتهمة قبول رشوة ليدس السم للملكة ولم يكن الدليل قاطعاً، وترددت إليزابث طويلاً في التصديق على حكم الإعدام، ولكن العامة في لندن أخذوا جريمته قضية مسلماً بها واستعرت روح العداء للسامية في الحانات ويمكن أن يكون شكسبير قد تأثر إلى حد أن يضرب على هذا الوتر الحساس، أو أنه كلف بذلك، فكتب تاجر البندقية (1596؟)، وشارك إلى حد ما مستمعيه في مشاعرهم، فأجاز أن يمثل شيلوك في شخصية هزلية في ثياب رثة مع أنف عريض مصطنع، ونافس مارلو في إبراز كراهية مقرض النقود وجشعه، ولكنه أضفى على شيلوك بعض الصفات المحببة التي لا بد أنها جعلت الحمقى يحزنون، ثم أنه أورد على لسانه عرضاً للقضية من أجل اليهود، بلغ من الوضوح والجرأة حداً جعل كبار النقاد لا يزالون يجادلون فيما إذا كان شيلوك قد صور مفترى عليه أكثر منه آثماً مذنباً؟ وهنا، فوق كل شيء، أظهر شكسبير براعته في أن يؤلف صورة متناسقة الأجزاء من خيوط مختلفة من قصص جاءت من الشرق ومن إيطاليا، كما جعل جسيكا المرتدة متلقية مثل هذا الشعر العاطفي الرومانتيكي، كما لا يمكن أن تتصوره إلا روح ذات حساسية عالية وانصرف شكسبير طيلة أعوام خمسة إلى الملهاة بصفة أساسية وربما أدرك أن الجنس البشري المنهك يختص بأسخى جوائزه أولئك الذين يستطيعون إلهاءه بالضحك والخيال إن رواية حلم منتصف ليلة صيف هراء قوي عوض عنه مندلسون ولم نقذ هيلينا رواية Allls Well That Ends Well أما رواية أسمع جعجعة ولا

أرى طحناً فهي تتفق مع اسمها ورواية الليلة الثانية عشرة محتملة فقط لأن فيولا تمثل فتى وسيم جداً ورواية ترويض النمرة زاخرة بمرح صاخب بشكل لا يصدق، ومن المستحيل ترويض النساء ذوات الألسنة السليطة , هذه الروايات كلها كانت إنتاجاً لمجرد كسب المال، وإرضاء جمهور الدرجة الثالثة، ووسائل لإبقاء القطيع داخل الحظيرة، وإبقاء الذئب بعيداً عن الباب ولكن بجزئي هنري الرابع slash15981597 صعد الساحر العظيم ثانية إلى القمة، وجمع بين المهرجين والأمراء فولستاف وبستول، هتسبير والأمير هال في نجاح كان يمكن أن يجعل سدني يتردد واستساغت لندن استخدام تاريخ الملوك على هذا النحو، مزخرفاً بالأوغاد، والمومسات وتابع شكسبير العمل فأخرج هنري الخامس 1599، يهز بها مشاعر المشاهدين ويسليهم في وقت معاً، ثرثرة فولستاف الذي يعاني سكرات الموت: أيتها المروج الخضر، ويثيرهم بجعجعة أجنكورت، ويبهجهم بمغازلة الملك الذي لا يقهر للأميرة كيت بلغتين وإذا اعتقدنا في صحة كلام رو، فإن الملكة لم تكن ترتضي الراحة لفولستاف وأمرت منشئه أن يحييه ويعرضه في مشهد عشق وغرام ويضيف جون دنيس وهو يروي نفس القصة، أن إليزابث رغبت في أن تتم المعجزة في مدى أسبوعين وإذا كان كل هذا صحيحاً، فإن رواية الزوجات المرحات في وندسور كانت عملاً مدهشاً من أعمال البراعة والقوة، لأنها برغم كونها صاخبة لأنها حافلة بالخشونة والعنف متخمة بالتوريات، ففيها فولستاف في ذروة نشاطه وحيويته، حتى ألقى به إلى نهر في سلة غسيل وقيل لنا إن الملكة كانت مسرورة ثم انتج بعده هذه المقطوعة

القصصية الرومانتيكية البالغة الرقة على هواك وربما كان سببها هو أنها استرشدت بمقطوعة لودج روزاليند 1590، وموسيقى الرواية صافية نقية-لا تزال معوقة بالمزاح والهزل الجاف غير الممتع، ولكنها ناعمة رقيقة من حيث الإحساس، مرحة رشيقة من حيث الكلام فأية صداقة كريمة هنا بين سليا وروزاليند، وهذا أورلندوو يحفر اسم روزاليند في لحاء الشجر، معلقاً القصائد الغنائية على أشجار الزعرور البري، والمراثي على الأشجار كثيرة الشوك، وأي رصيد سعيد من الفصاحة ينثر عبارات خالدة على كل صحيفة وأية أغان رحبت بها ملايين الشفاه تحت الشجرة الخضراء هب؛ هب يا نسيم الشتاء،فهناك كان عشيق وفتاته إن التدفق أو الإنتاج بأسره كان حماقة وعاطفة لذيذتين محببتين، لا يمكن مباراته في أي أدب في 1579 عرض كتاب توماس نورث عن بلوتارك ذخيرة نفيسة من المسرحيات، أخذ منها شكسبير ثلاثاً من سير الحياة وصاغها في مسرحية يوليوس قيصر 1599؟ ووجد أن ترجمة نورث مفعمة بالحيوية إلى حد أنه أخذ منها عدة قطع بأكملها كلمة كلمة بالنص، وكل ما عمله هو أنه حول النثر إلى شعر مرسل، ومهما يكن من أمر فإن خطبة أنتوني أمام جثمان قيصر كانت من ابتداع الشاعر نفسه، جاءت تحفة رائعة في فن الخطابة والرقة والدقة، ثم الدفاع الوحيد الذي أجازه لقيصر وربما أثر فيه إعجابه بدوق سوثمبتون وإرل بمبروك، وارل إسكس الشاب، فرأى القتل من وجهة نظر النبلاء الأرستقراطيين المتآمرين المهددين بالخطر ومن ثم يصبح بروتس محور الرواية ولكنا، نحن الذي حصلنا على تفاصيل مومسن عن

الفساد ذي الرائحة الكريهة في الديمقراطية التي أطاح بها قيصر، أشد ميلاً إلى التعاطف مع قيصر، كما فوجئنا بموت بطل الرواية في مستهل الفصل الثالث وفي كتابة هاملت استعان شكسبير برواية سابقة في نفس الموضوع وتحداها وكانت هاملت قد أخرجت في لندن قبله بست سنوات فقط ولسنا ندري كم أخذ من هذه المأساة المفقودة، أو من كتاب بلفورست التواريخ الفاجعة 1576، أو من تاريخ الدنمرك 1514 للمؤرخ الدنمركي ساسكو جراماتيكوس، كما أننا لا نستطيع القول بأن شكسبير قرأ أمراض الاكتئاب والحزن، وهي ترجمة إنجليزية حديثة لكتاب طبي فرنسي ألفه دي لورنس وإنا، ونحن نشك في غير انفعال أو تذمر، في كل محاولة لتحويل الروايات إلى سيرة حياة ذاتية، ليباح لنا أن نتساءل عما إذا كان شيء من الحزن الشخصي بالإضافة إلى تأديب الليل والنهار قد انضم إلى التشاؤم الذي شاع في هاملت، واشتدت مرارته فيما أعقبها من روايات وكان يمكن أن يكون هذا تحرراً جديداً من وهم الحب، وهل كان القبض للمرة الأولى على اسكس 5 يونيه 1600،أو إخفاق ثورة اسكس، أو اعتقال اسكس وسوثمبتون، أو إعدام اسكس 25 فبراير 1601 ويفترض أن هذه الأحداث كلها هزت مشاعر شاعرنا المرهف الحس، الذي كان قد امتدح، في حرارة بالغة، اسكس في مقدمة الفصل الأخير من هنري الخامس، كما كان في إهداء لوكريس إلى سوثمبتون، قد عاهده على الولاء له إلى الأبد وما أن جلس جيمس الأول على عرض إنجلترا حتى ثبت وتوسع في إمتيازات فرقة شكسبير التي أصبحت رجل الملك ومثلت روايات شكسبير أمام الملك

بانتظام ولقيت تشجيعاً ملكياً كبيراً وصعدت المواسم الثلاثة بين 1604-1607 بالشاعر إلى ذروة عبقريته وأقصى مرارته، فرواية عطيل 1604 قوية بقدر ما هي بعيدة عن التصديق فقد أثار إخلاص ديدمونا وموتها شفقة المشاهدين، كما افتتنوا بخبث ياجوالدال على ذكائه، ولكن في تصوير هذا الشر المحض الذي لا باعث عليه في الإنسان؛ وقع شكسبير في خطأ مارلو، ألا وهو الشخصيات القائمة على وحدة كاملة وحتى عطيل نفسه، على الرغم من أنه جمع بين البراعة العسكرية والغباء، كان ينقصه هذا المزاج الفني من العناصر التي تضفي الروح الإنسانية على هملت ولير وبروتس وأنطوني ثم كتب ماكبث 1605وكانت تأملاً أشد رهبة في الشر الذي لا تخف حدته وكان شكسبير يستشهد بهولنشد في الحقائق المطلقة، ولكنه زاد في عتامة القصة وكآبتها بتحرره من الوهم بشكل انفعالي غاضب وانحطت هذه الحالة النفسية إلى الحضيض، كما بلغ الفن ذروته في رواية الملك لير 1606وكان جوفري أوف مموث قد طور القصة، ثم نقلها هولنشد، وأخرجها للمسرح مؤخراً كاتب مسرحي مجهول الآن تحت عنوان التاريخ الصحيح للملك لير 1605وكانت حبكات الرواية ملكاً مشاعاً ونهجت المسرحية القديمة نهج هولنشد في أنها هيأت للملك لير خاتمة سعيدة، عن طريق احتمائه بابنته كورديليا واستعادة العرش، وواضح أن شكسبير آثم في جنون الملك وموته بخلعه من العرش كما أنه أضاف الإعماء الدامي الفظيع الذي أصاب جلوستر على المسرح إن المرارة هي النغمة الأساسية السائدة في الرواية، وإن لير ليأمر الفسوق أن ينتشر والزنى أن يزداد لأني يعوزني

الجنود وكل الفضيلة، في نظرته القاتمة، ما هي إلا واجهة للفسق والفجور،وكل الحكومة رشوة، وكل التاريخ عبارة عن الإنسانية تفترس نفسها أو بني البشر يأكل بعضهم بعضاً ثم اخيراً كتب رواية تيمون الأثيني 1608 فهو تشاؤم تهكمي، لم يتخلص منه ويصوب لير سهامه إلى نساء، ولكنه يحس ببعض الرثاء المتأخر للبشر، ويحتقر بطل كوريولانس الناس على أنهم النتاج المتقلب الذليل الأبله للإهمال والطيش، ولكن تيمون يذم الجميع رفيعهم ووضيعهم، ويصب اللعنة على المدنية نفسها لأنها أفسدت أخلاق البشر وكان بلوتارك في سيرة أنطوني قد ذكر تيمون على أنه مبغض للبشر مشهور، وكان لوشيان قد أورده في حوار، كما كانت رواية إنجليزية قد ألفت عنه قبل أن يأخذ شكسبير الفكرة مع مساعد مجهول بثماني سنوات وكان تيمون ثريا (مليونير) أثينا يحيط به أصدقاء متملقون متفتحون يسارعون إلى تقبل أفكاره، وعندما يفقد ماله، ويرى أصدقاءه يختفون بين عشية وضحاها، ينفض غبار المدينة عن قدميه ويأوى جاداً صارماً إلى العزلة في غابة، حيث يأمل أن يجد أشد الحيوانات وحشية أكثر رفقاً وشفقة من بني الإنسان وهو يتمنى لو أن ألسبيادس كان كلباً حتى أكن لك شيئاً من الحب ويعيش على جذور الشجر، وينقب فيجد ذهباً، وهنا يظهر الأصدقاء من جديد فيطردهم ويحتقرهم ويهجوهم ألذع هجاء ولكن عندما تأتي العاهرات وبنات الهوى ينفحهن بالذهب، شريطة أن ينقلن الأمراض التناسلية إلى أكبر عدد ممكن من الرجال ثم وفي سورة الكراهية يأمر تيمون الطبيعة أن تكف عن النسل، ويأمل أن تتكاثر الوحوش الضارية لتستأصل الجنس البشري، إن هذا الإسراف

في بعض البشر يجعله يبدو غير حقيقي، ولا يمكن أن نصدق أن شكسبير قد أحس بهذا التشامخ السخيف على الخاطئين، وبأنه غير مؤهل بمثل هذا الجبن لمتاع الحياة الدنيا.

سيرة شكسبير المسرحية

استقبل شكسبير في المسرح كخادم، إلا أنه لم يتخلى عن أحلامه وطموحاته، حيث بدأ بتمثيل أدوارٍ صغيرة مثل دور أدم الشفوق في رواية على هواك، ثم بدأ بالصعود إلى الأعلى منذ أن تصدر اسمه قائمة الممثلين في رواية جونسون، ثم أصبح مساهماً في فرقة تشمبرلين للممثلين، وبدأ بكتابة الروايات في عام 1591م، ثم انتقل إلى الاشتراك في التأليف، حيث ألف 38 رواية، وكتب العديد من القصائد، وتكمن براعة شكسبير في القصص والشخصيات المثيرة التي يستخدمها في مسرحياته، حيث كان يمزج بين الخير والشر، والعقل والعاطفة، بالإضافة إلى براعته في التلاعب بالمفرادت والألفاظ الجديدة، وفي صياغة الصراع الذي يخوضه الفرد بين غرائزه وأحلامه والواقع المحيط به، كما تجلت عبقريته الفنية في استيعاب وفهم الأشكال الفنية التراثية الشعبية والمعاصرة، مما دفعه للتأكيد على الحبكة الثلاثية أو المزدوجة.

طوال القرنين العشرين والحادي والعشرين، تم التعديل على أعمال شكسبير باستمرار وإعادة اكتشافها من خلال حركات جديدة في الدراسة والأداء . لا تزال مسرحياته وثقافته تحظى بشعبية كبيرة

ويتم دراستها، وأداءها باستمرار وإعادة تفسيرها في سياقات ثقافية وسياسية متنوعة في جميع أنحاء العالم.

لندن والسيرة المسرحية

ما أن جاءت سنة 1592 حتى كان شكسبير ممثلاً وكاتباً مسرحياً في العاصمة ويروي دودال 1693 ورو 1709أنه استقبل في المسرح كخادم في مرتبة وضيعة جداً، وهذا أمر محتمل ولكن صدره كان يجيش بأشد الطموح يتلهف على فن هذا ومقدرة ذاك، دون أن ينصرف تفكيره إلى شيء سوى الجلال والعظمة وسرعان ما كان يمثل أدواراً صغيرة، جاعلاً من نفسه متعة وبهجة للنظر، ثم مثل دور آدم الشفوق في رواية على هواك والشبح في هاملت وربما صعد إلى مرتبة أعلى لأن اسمه تصدر قائمة الممثلين في رواية جونسون Everyman In His Humour أو في رواية جونسون Sejanus،1604 هو ويوريدج بأنهما الممثلان المأساويان الرئيسيان وفي أواخر 1594أصبح مساهماً في فرقة تشمبرلين للممثلين ولم يكسب ثروته من كونه كاتباً مسرحياً، بل لكونه ممثلاً ومساهماً في فرقة مسرحية ومهما يكن من أمر فانه في 1591 كان يكتب الروايات، ويبدو أنه بدأ طبيباً للرواية يعالجها ويفحصها فحرر المخطوطات ونقحها وكيفها للفرقة وانتقل من مثل هذا العمل إلى الاشتراك في التأليف، والأجزاء الثلاثة من هنري السادس 1592 لتبدو أنها من مثل هذا الإنتاج المشترك وبعد ذلك كتب روايات بمعدل اثنتين كل عام، حتى بلغت جملتها ستاً وثلاثين أو ثماني وثلاثين

رواية وعدة من رواياته الأولى مثل توافه هزلية مليئة بالمزاح المرهق لنا الآن ومن الدروس المفيدة أن نعلم أن شكسبير صعد سلم المجد بالعمل الشاق والجهد المضني ولكن الصعود كان سريعاً وأوحت إليه رواية مارلو إدوارد الثاني أن يلتمس في التاريخ الإنجليزي أفكاراً لموضوعات مسرحية كثيرة وضارعت رواية ريتشارد الثاني 1595 رواية مارلو أما رواية ريتشارد الثالث 1592 فكانت بالفعل قد بزتها ووقع إلى حد ما في خطأ خلق شخص واحد من صفة واحدة الملك الأحدب من الطموح الموصوم بالخيانة والقتل، ولكنه بين الحين والحين ارتفع بالرواية عن مستوى مارلو بعمق التحليل وقوة الإحساس وومضات من العبارة المشرقة وسرعان ما أصبحت عبارة جواد جواد ! مملكتي مقابل جواد، ذائعة على كل الألسنة في لندن ثم فترت العبقرية في 1593وغلب التقليد، وعرض رقصة الموت البغيضة، فان تيتس يقتل ابنه، وآخرين صهره أو زوج ابنته، على المسرح، وتغتصب عروس وراء الكواليس فتأتي إلى خشبة المسرح، وقد قطعت يداها، وقطع لسانها، والدم ينزف من فمها، ثم يقطع أحد الخونة يد تيتس بفأس أمام جمهور الدرجة الثالثة الذين تكاد عيونهم تلتهم المشهد , وتعرض رأساً ابني تيتس المفصولان، وتقتل إحدى المرضعات على المسرح وجهد النقاد الذين يجلون شكسبير ليحملوا المشتركين في التأليف جزءاً من مسئولية هذه المذبحة، طبقاً للنظرية الخاطئة القائلة بأن شكسبير لا يكتب هراء، ولكنه كتب بالفعل قدراً كبيراً منه وألف شكسبير في هذه المرحلة، شعره القصصي وقصائد السونيت، وربما كان الطاعون الذي تسبب

فى إغلاق كل مسارح لندن بين 1592-1594، هو الذي تركه في فراغ أليم بائس، ورأى أنه من صواب الرأي أن يوجه شيئاً من الشعر المؤمل إلى أحد رعاة الشعر وفي 1593 أهدى فينوس وأودنيس إلى هنري ريوتسلي أرل سوثمبتون الثالث وكان لودج قد اقتبسها من قصة أوفيد Metamorphoses، واقتبسها شكسبير عن لودج، وكان الأول شاباً وسيماً منغمساً في الملذات الجنسية والصيد والقنص ويبدو كثير منها غذاء تافهاً عديم القيمة في هذه السنوات العجاف، ولكن في غمرة هذا الإغراء الشديد هناك قطع ذات جمال حسي مثل الأبيات من 679-708 مما قل أن قرأت إنجلترا مثله من قبل وتشجع شكسبير بما لقيت القصيدة من استحسان عام، وبهدية من سوثمبتون فأصدر في 1594 The Ravyshement Of Lucrece حيث تم الإغراء باقتصاد أكبر في الشعر وكانت هذه آخر ما أصدره بمحض اختياره وفى عام 1593 تقريباً بدأ يكتب ولكنه حجز عن المطبعة قصائد السونيت التي كانت أول ما ثبت مكانته الرفيعة بين شعراء عصره وهي من الناحية الفنية أدق أعمال شكسبير تقريباً، وقد نهلت كثيراً من معين بترارك من قصائد السونيت- الجمال العابر للمحبوبة وترددداتها وتقلباتها القاسية، وتثاقل خطوات الزمن الذي يضيع سدى وغير الحبيب وظمؤه القاتل، وتفاخر الشاعر بأن قريضه سوف يخلد جمال الحبيبة وشهرتها إلى الأبد بل إن هناك عبارات وألقاباً ونعوتاً منتحلة من كوننستابل ودانيل، وواطسون وغيرهم من شعراء السونيت الذين كانوا هم أنفسهم حلقات في سلسلة السرقات الأدبية ولم يفلح أحد في ترتيب قصائد السونيت في نظام قصصي ثابت، وكانت

كلها عملاً طارئاً في أيام متباعدة ويجدر بنا ألا نأخذ بكثير من الجد حبكتها الغامضة-حب الشاعر لشاب يافع، وميله إلى سيدة سمراء في البلاط وصدودها عنه، وترحيبها بصديق له، وظفر شاعر منافس بذاك الصديق، وسهاد شكسبير اليائس وتفكيره في التخلص من الحياة ومن الجائز أن شكسبير، وهو يمثل في البلاط، اختلس النظرات في لهف بعيد إلى الوصيفات المحيطات بالملكة، واللائي تضمخن بعطور ذات رائحة مثملة، وارتدين ثياباً تبهر الأنظار، ولكن ليس من المرجح أنه تحدث إليهن أو حاول اقتناصهن قط، ومهما يكن من أمر فقد كانت غير متزوجة،في الوقت الذي خانت فيه زوجة شكسبير عهد الزوجية بحب الشاعر ومحبوبه وفي عام 1609 نشر توماس ثورب قصائد السونيت، وواضح أن هذا كان بدون موافقة شكسبير، لأن المؤلف لم يكتب فيها إهداء، ولكن ثورب نفسه صدرها بإهداء حير الأجيال: إلى الوحيد الذي يقدر القصائد التالية، السيد و.هـ مع كل ما بشر به شاعرنا الخالد من سعادة وخلود، مع أطيب التمنيات للمغامر الذي يبغي الخير، فيما يعتزم من ترحال ويحتمل أن التوقيع ا.ت.ث توماس ثورب ولكن من هو و.هـ.؟ ربما كان هذان هما الحرفان الأولان من وليم هربرت أرل بمبروك الثالث الذي أغوى ماري فتون، والذي قدر له هو وأخوه فيليب أن يتلقيا إهداء الكتاب الذي نشر بعد وفاة المؤلف، على أنه أعظم راع لرجال العلم والأدب من أي نبيل في عصره أو منذ ذلك العصر وكان هربرت في عامه الثالث عشر فقط حين بدأت قصائد السونيت 1593، ولكن تأليفها امتد حتى 1598، حين كان بمبروك قد اشتد عوده ونضج للحب ورعاية الأدب

والأدباء ويتحدث الشاعر بحرارة عن حبه للمحبوب الفتي، وغالباً ما استخدمت كلمة الحب بمعنى الصداقة ولكن القصيدة رقم 20 تطلق على الفتى سيد- سيدة هيامي وهواي وتنتهي بتورية تصور الحب الجنسي والقصيدة 128 (والظاهر أنها موجهة للفتى الوسيم الوارد ذكره في القصيدة 126) تتحدث عن نشوة العشق والغرام وكان بعض الشعراء في عصر إليزابث أدباء لوطيين قادرين على تهيئة أنفسهم للحب الطروب المبهج، لأي رجل من ذوي اليسار.

يمكن تقسيم نتاج شكسبير المسرحي إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي: المأساة والملهاة والمسرحيات التاريخية، كما كتب عددًا من المسرحيات التي يصعب إدراجها ضمن هذه التصنيفات المألوفة، واعتاد النقاد إطلاق صفة المسرحية الرومنسية أو التراجيكوميدية عليها ومن الممكن،ابتغاءً للسهولة، تقسيم نتاجه إلى أربع مراحل، مع أن تاريخ كتابته للمسرحيات غير معروف بصورة مؤكدة تمتد المرحلة الأولى من بداياته وحتى عام 1594، والثانية من 1594 - 1600، والثالثة من 1600 -1608، والأخيرة من 1608 -1612وهذه التقسيمات تقريبية وضعها مؤرخو المسرح ونقاده لمتابعة تطور حياته الأدبية ضمن إطار واضح تقع المرحلتان الأولى والثانية ضمن مرحلة مسرح إليزابيث نسبة إلى الملكة إليزابيث الأولى، أما المرحلتان الثالثة والرابعة فتقعان ضمن مرحلة المسرح اليعقوبي نسبة إلى جيمس يعقوب الأول ملك إنجلترا الذي تولى العرش في 1603 وتوفي عام1625.

قائمة الأعمال

المرحلة الأولى

كان شكسبير في هذه المرحلة كاتباً مبتدئاً بالمقارنة مع معاصريه من الكتاب مثل جون ليلي J.Lyly ومارلو وتوماس كيد T.Kyd لم تتسم أعماله في هذه المرحلة بالنضج الأدبي والفني، بل جاءت بنية نصوصه سطحية وغير متقنة، وتركيباته الشعرية متكلفة وخطابية وانتشرت في هذه الفترة المسرحيات التاريخية، نتيجة الاهتمام الكبير بتاريخ انجلترا، خاصة بعد هزيمة أسطول الأرمادا الأسباني عام 1588، ولرغبة الجمهور فى تمجيد البطولات والتعلم من عِبَر التاريخ كتب شكسبير في هذه المرحلة مسرحيات عدة تصور الحقبة ما بين 1200 و1550 من تاريخ إنجلترا، وتحديداً الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين عائلتي لانكستر ويورك ، مثل ثلاثيته الملك هنري السادس ت1590 -1592، والملك رتشارد الثالث ت1593 التي صور فيها النتائج السلبية لحكم ملك ضعيف وتغطي هذه المسرحيات الأربع المرحلة الممتدة منذ حكم هنري السادس وحتى هنري السابع وبدء حكم سلالة تيودور التي تنتمي الملكة إليزابيث إليها، وتسمى بحقبة حرب الوردتين ويشبه أسلوب شكسبير فيها أسلوب مسرح العصور الوسطى، ومسرح الكاتب الروماني سينيكا ومسرح توماس كيد العنيف، ويظهر هذا في دموية بعض المشاهد في المسرحيات الأربع، ومن خلال لغة الخطاب الطنانة وظهرت هذه الخاصية في مأساة تايتُس اندرونيكوس ت1594 حيث صور شكسبير

الانتقام والقتل بتفاصيل دموية مرئية على الخشبة فجاءت أقل نصوصه صقلاً ونضجاً ويمزج شكسبير هنا التاريخ والسياسة والشعور الوطني لدى شخصياته التاريخية مع روح الفكاهة في رسمه بعض الشخصيات الدرامية.

كتب شكسبير في هذه المرحلة أيضاً عدداً من النصوص مثل كوميديا الأخطاء ت1592، وهي مسرحية هزلية تتبع أسلوب الملهاة الرومانية التقليدية من حيث الالتباس في هوية الشخصيات والتشابه بينها، والهرج والمرج الذي ينتج عن ذلك، وترويض الشرسة ت1593، التي ركز فيها على الشخصيات وتصرفاتها وانفعالاتها وسلوكها كخط أساسي للمواقف المضحكة والمحملة بالمعاني في الوقت نفسه، ومسرحية سيدان من فيرونا ت1594 التي تحكي عن الحب الرومنسي، وخاب سعي العشاق 1594، التي قدم فيها صورة سلبية عن الحب وما يرافقه من تغيرات وتحولات في شخصيات وسلوك العشاق وما يصدر عنهم من تصرفات صبيانية.

المرحلة الثانية كتب شكسبير أهم مسرحياته التاريخية في هذه المرحلة، مثل الملك رتشارد الثاني ريتشارد الثاني ملك إنجلترا ت1595، والملك جون ت1596، والملك هنري الرابع هنري الرابع ت1597 في جزأين، والملك هنري الخامس ت1598، كما كتب نصوصه الكوميدية الأكثر مرحاً وتميزاً، مثل ملهاة حلم ليلة منتصف الصيف ت1595) والليلة الثانية عشرة الليلة الثانية عشرة أو كما تشاء ت1595 وجعجعة بلا طحن جعجعة بلا طحن ت1598 وعلى

هواك ت1599، إضافة إلى روميو وجولييت ت1595، ويوليوس قيصر ت1599، وتاجر البندقية ت1596ويظهر في هذه المرحلة تطور ملحوظ في أسلوبه الذي صار يميل إلى الخصوصية والتميز.

تحكي مسرحية الملك رتشارد الثاني قصة ملك ضعيف يخسر عرشه ومملكته مما أثار حفيظة الملكة إليزابيث لتناولها موضوعاً سياسياً حساساً فمنعت عرضها قائلة أنا رتشارد ويتابع شكسبير التسلسل التاريخي في مسرحية الملك هنري الرابع التي كتبها في جزأين، والملك هنري الخامس، حول ابنه الذي يثبت قدرته على الحكم وتحمل المسؤولية وقد عُرفت مسرحية هنري الرابع بشخصية الفارس البدين فولستاف ، التي ألهمت الكتّأب، فصارت منبعاً للشخصيات المضحكة الطريفة، لكنها ذات أبعاد إنسانية عميقة، إذ يمزج شكسبير فيها بين الحزن والفرح والخوف والجبن والحماسة.

تعدّ حلم ليلة منتصف الصيف من أروع ما كتب شكسبير في الملهاة، إذ اعتمد فيها على نسيج درامي معقد من ثلاث حبكات وثلاثة عوالم مختلفة ومتداخلة من الجن والبشر، تصور زوجين من العشاق من العائلات النبيلة في أثينا، ومجموعة من الشخصيات الهزلية من أهالي ريفها الذين يحضرون عرضاً مسرحياً للاحتفال بزواج الدوق وهيبوليتا، إضافة إلى عالم الجن الذي يتزعمه أوبيرون وملكة الجن تايتانيا وخادمهم البارع النشيط بَك ويظهر شكسبير في هذه المسرحية العواطف التي تحكم الجميع حتى الجن، كالحب والغيرة والكره أحياناً، في قالب رومانسي مضحك مملوء بالمعاني والعبر وبدأ بعد

ذلك كتابة تاجر البندقية وهي من نوع الكوميديا السوداء، التي صور فيها قصة السيدة النبيلة بورشيا وزواجها من بَسانيو ، وصديقه التاجر أنطونيو الذي يستدين من مال المرابي اليهودي شايلوك، الذي يتوق بدوره للانتقام بهذا الدَّين من المجتمع الذي ينبذه، لاسيما أن ابنته الوحيدة هربت بالمال الذي جمعه طوال عمره مع شاب مسيحي وتتداخل في هذه المسرحية مفاهيم الصداقة بين رجلين مع مفهوم الحب الرومانسي بين بورشيا وبسانيو، في مواجهة عدم إنسانية المرابي اليهودي ومعاناته في مجتمع لا يتقبله وأكثر ما يميز هذه المسرحية شخصية بورشيا التي صارت من شخصيات شكسبير النسائية التي شكلت ثورة في الأدب المسرحي، وكانت منهلاً لشخصيات نسائية أخرى ابتدعها في مسرحياته الأخرى ولقد صور شكسبير شخصيات نسائية تعتمد على ذكائها وفطنتها وليس على جمالها، وبهذا استطاع تحويل أحد المعوقات في مسرح إليزابيث في عصره إلى ميزة، إذ كانت أدوار النساء تمثل من قبل صبية، واستخدم تنكر الصبية في أدوار النساء عاملاً أساسياً في الحبكة في هذه المسرحية وأيضاً في الليلة الثانية عشرة وعلى هواك حيث تظهر شخصيتان نسائيتان أساسيتان هما فيولا وروزالِند في هيئة غلامين للتمكن من الاقتراب ممن تحبان بحرية، مما يخلق توتراً ومواقف مضحكة وإنسانية في آن واحد.

وكتب شكسبير زوجات وندسور المرحات في نهاية هذه المرحلة، وتعود فيها شخصية فولستاف إلى الظهور أما في روميو وجولييت

فقد صور الحب الفتي بشاعرية عالية والمصير المؤلم لحبيبين وقعا ضحية خلاف قديم بين عائلتيهما وقضيا نتيجة اندفاعهما العاطفي وتعد يوليوس قيصر من أشهر ما كتب، وهي مأساة سياسية من التاريخ الروماني، الذي نهل منه عدداً من نصوصه الأخرى، يصور فيها شخصية بروتوس؛ إحدى أكبر الشخصيات التراجيدية في المسرح.

المرحلة الثالثة

تميزت هذه المرحلة بأفضل ما كتب شكسبير، لذا سماها بعض النقاد مرحلة النضج الأدبي، إذ كتب أعظم نصوصه التراجيدية وتلك التي تقترب من الكوميديا السوداء وتُظِهر مآسي هذه المرحلة عمق الرؤيا عند شكسبير وبراعة الصنعة الدرامية، فقد وظف في هذه المسرحيات أدواته الشعرية بما يناسب النص والعرض المسرحيين فوصل إلى حد الإتقان في الدمج بين العواطف البشرية والفكر الإنساني مع الشعر والمواقف المؤثرة.

كتب شكسبير في هذه المرحلة مأساة هاملت ت1601التي تعد أشهر مسرحياته عالمياً، وصور فيها الوضع الإنساني من عظمة وجبروت وضعف في الوقت ذاته تحكي هاملت قصة الأمير الدنماركي الذي يقع ضحية إجرام عمه وضعف أمه وحقيقة أن والده قُتل على يد عمه يعيش هاملت في حيرة وضياع في صراعه بين تردده في اتخاذ قرار الانتقام والإقدام عليه واندفاعه الذي يحطم كل

من حوله ولايزال صراع هاملت المرير وتردده يشغل الكثيرين من النقاد والمفكرين وعلماء النفس والكتاب، ويولد جدلاً زاخراً بالتفسيرات والدراسات والاجتهادات التي ماانفكت تضيف إلى الإرث الكبير من النقد الأدبي لهذا النص ولأعمال شكسبير عامة وتعد هاملت الأهم بين أعمال شكسبير من حيث استخدام اللغة، إذ تعكس لغة المناجاة الداخلية والتحليل ومخاطبة الجمهور في حديث جانبي الصراع داخل هاملت وقد اشتهر عن هملت نصيحته التي وجهها للممثلين الذين يحضّرهم للقيام بعرض مسرحي أمام عمه الملك لكي يوقعه في الفخ عندما يشاهد جريمة تشبه جريمته وتقدم النصيحة صورة موثقة عن أساليب التمثيل في أيام شكسبير، التي اعتمدت على المبالغة ولم تعطِ اللغة الاهتمام الذي تستحقه.

أما في مأساة عطيل ت1604فقد قدم شكسبير تحليلاً عميقاً لآلية الإيقاع بقائد عظيم أسود البشرة ضحية الغيرة على زوجته البيضاء المخلصة دِزدمونة ، من خلال المخطط الخبيث والمدروس الذي يرسمه تابعه إياجو الذي يستغل نقاط الضعف لدى سيده الغريب عن المجتمع الذي يعيش فيه، على الرغم من مكانته المرموقة، ولكونه ينتمي إلى ثقافة شرقية تختلف في معالجتها لموضوع الحب والغيرة والشرف عن نظيرتها الغربية ويتطرق أيضاً لمفهوم الشر من أجل الشر، الذي صوره شكسبير في شخصية إياجو الذي يجد لذة في هذا الشر فيكشف خططه للجمهور من خلال تقنية الحديث الجانبي التي تضع المشاهد في وضع المتواطئ معه والراغب في إدانته في آن معاً

يعدّ بعض النقاد أن الملك لير ت1605 مسرحية شكسبير الأهم،لأنها تتميز بأبعاد ملحمية لقصة صراع عائلي بين الآباء والأبناء وبعمق في تحليلها العواقب الوخيمة التي تتمخض عن تصرف الملك الانفعالي غير المسؤول عندما يتنازل عن السلطة والمال لابنتيه ويحرم ابنته الصغرى كورديليا ، لظنه أنها لا تحمل له من الحب ذات القدر الذي تحمله له أختاها اللتان تبالغان كذباً في التعبير عن حبهما لوالدهما، بينما تعجز الصغرى، وهي أكثرهن حباً لوالدها، عن التعبير بالكلمات وتلقى كورديليا حتفها ويعجز والدها عن إنقاذها قبل أن يموت، ويظهر فشل الخير أمام حماقة البعض وتعنتهم وتجاهلهم الحقيقة أما في مسرحية أنطوني وكليوباترا ت1606فيتناول شكسبير موضوع الحب المحرم سياسياً وأخلاقياً بين القائد الروماني وملكة البطالمة كليوباترا، الذي سبب الدمار لـه ولسمعته في روما، وهو حب ناضج بين حبيبين في أواسط العمر لم يسبق لأحد أن عالجه بذات البراعة والعمق والشاعرية مثل شكسبير وفـي مسـرحية مَكبث ت1606 يقدم شكسبير تحليلاً لرجل يستسلم لطموحه الجامح لضعف في شخصيته فيفقد إنسانيته ويصبح قادراً على أي جريمة تبرز شخصية الليدي ماكبث من بين الشخصيات النسائية في الأدب العالمي فتصور المرأة الطموح التي لا يقف في طريقها شيء، ولتصبح أنموذجاً لكثير من الشخصيات النسائية المتمردة.

كتب شكسبير نصوصاً أخرى لونها بروح الكوميديا السوداء التي تنبع من افتقار البطل للعظمة والقوة التي يحتاجها ليسيطر على

عواطفه، ففي ترويلوس وكريسيدا ت1602 التي تعد من أرقى مسرحياته فكريّاً، يصور شكسبير الثغرة بين المثالي والواقعي، والشخصي والعام عند الفرد المسؤول عن الشأن العام، وتظهر فيها نظرة سلبية تجاه المرأة وتسيطر هذه الروح السوداوية التي تضفي بعداً إنسانياً جديداً على مسرحياته الأخرى في هذه المرحلة، مثل مأساة كوريولانوس ت1608 وتيمون الأثيني والأمور بخواتيمها ت1602.

المرحلة الرابعة

كتب شكسبير في هذه المرحلة أهم نصوصه الرومانسية، وبدا في أواخر حياته وكأنه يقدم رؤى جديدة متفائلة باستخدامه أدواتٍ ومفاهيم عدة، من الفن والعاطفة وعالم الجن والسحر والخيال، إضافة إلى استخدامه الشعر الغنائي أكثر من أي وقت مضى، مما جعل مسرحياته الأخيرة تختلف كثيراً عن سابقاتها لذا اتجه بعض النقاد إلى القول بأن المسرحيات الأخيرة تلخص رؤية شكسبير الناضجة للحياة، بينما رأى آخرون أن هذا الاختلاف في أسلوبه وفكره ما هو إلا تغير في الأذواق والتوجهات شهدها المسرح بعد عام 1608 تتحدث معظم مسرحياته في هذه المرحلة عن ألم الفراق بين المحبين ثم اللقاء ولمّ الشمل في رحلة من المعاناة تتعلم الشخصيات فيها من أخطائها وتغير من مواقفها إلى الأفضل من دون صراع، كما في مسرحية بريكْلِس ت1608 وسيمبلين ت1610وحكاية الشتاء ت1610 ولعل العاصفة ت1611 أفضل ماكتب شكسبير في هذه المرحلة قدم من خلالها

مفهومه للحياة الذي يجمع بين القوة والحكمة في شخصيات بروسبرو وابنته ميراندا وخادمه إيرييل ، وتضمنت بعض أفضل شعره.

هناك في هذه المرحلة مسرحيتان تنسبان إلى شكسبير، إذ قد يكون شارك في كتابتهما مع الكاتبين بومونت وفليتشر ، وهما الملك هنري الثامن ت1613 والقريبان النبيلان وتتحدث الأخيرة عن حب صديقين لامرأة واحدة.

اقتبس شكسبير نصوصه التي كتبها في المراحل الأربع كلها من الحوليات والتاريخ ومما كان متوافراً من كتابات نثرية وقصص في عصره، كما تأثر أسلوباً وفكراً بالإنجيل كانت حوليات انجلترا، اسكتلندا، وأيرلندا ت1587لرفائيل هولينشيد مصدره الرئيسي عن التاريخ الإنجليزي، وكانت ترجمة توماس نورث ت1579لكتاب بلوتارخس سير نبلاء اليونان والرومان مصدر مسرحياته الرومانية أما بالنسبة للمسرحيات الأخرى خارج هذين المجالين فقد اعتمد على مسرحيات قديمة أعاد كتابتها، وعلى أعمال كتّأب آخرين تصرف شكسبير في مصادره بكل حرية بما يناسب الغرض الذي يكتب من أجله، لكنه اقتبس مقاطع كاملة من هولينشد وبلوتارخس كما وردت، وبحد أدنى من التغيير، وأضفى عليها أجمل شعره، معطياً بذلك أبعاداً جديدة لقصص التاريخ.

أهم أعماله

العظماء- تاجر البندقية - زوجات وندسور المرحات- جعجعة بلا طحن- مهزلة الأغلاط - ترويض النمرة - العاصفة (مسرحية) - الليلة الثانية عشرة - السيدان الفيرونيان - عذاب الحب الضائع - حكاية الشتاء (مسرحية) - حلم ليلة صيف - كما تشاء - العبرة بالنهاية – تاريخيات - حياة وممات الملك جون - ريتشارد الثاني - هنري الرابع، الجزء 1 - هنري الرابع، الجزء 2 - هنري الخامس - هنري السادس، الجزء 1 - هنري السادس، الجزء 2 - هنري السادس، الجزء 3 - ريتشارد الثالث هنري الثامن.

تراجيديات

روميو وجولييت- مأساة كريولينس - تيتوس أندرونيكوس- تيمون الأثيني - يوليوس قيصر – ماكبث – هاملت- ترويلوس وكريسيدا - الملك لير- عطيل- أنطونيو وكليوباترا – سيمبلين – قصائد - سوناتات شكسبير - فينوس وأدونيس - اغتصاب لوكريس - الحاج المغرم - العنقاء والسلحفاة - شكوى عاشق.

مسرحيات مفقودة

الحب مجهود رابح - كاردينيو - كتابات مشكوكة في صحتها - أردن فافرشام - ميلاد مرلين – لوكرين - مبذر لندن – المتزمت - ماساة البكر الثانية - سير جون أولدكاستل - لورد توماس كروموبل - مأساة في يوركشاير - إدوارد الثالث - سير توماس مور.

فكرة عن مؤلَّفات وليم شكسبير

تجاوز عدد أعمال شكسبير المسرحيَّة 38 مسرحيَّة، ويمكن تقسيم نتاجه المسرحي إلى ثلاثة أنواع هي: المأساة ، والملهاة ، والمسرحيَّات التَّاريخيَّة، وله عشرات القصائد الوطنيَّة ومن أشهرها قصيدة فينوس وأدونيس، وعشرات السُّونتيات (الشِّعر الغنائي)، ومن أشهر أعماله: روميو وجولييت: كُتبت هذه المسرحيَّة في الفترة بين عامي 1591-1595، وتحكي هذه المسرحيَّة قصَّة حب تراجيديَّة، تدور أحداثها حول قصَّة صراع بين عائلتين هما عائلة منتيجيو وعائلة كابوليت، ترافقها قصَّة حبٍّ صادق بين الفتى روميو من عائلة منتيجيو، والفتاة جولييت من عائلة كابوليت، وتدور أحداث هذه المسرحيّة في مدينة فيرونا بإيطاليا.

يوليوس قيصر: كُتبت هذه المسرحيَّة التراجيديَّة عام 1595، وتحكي حياة القيصر الرُّومانيّ يوليوس، والمؤامرات المُحاكة ضدَّه بسبب الصِّراع على الحُكم.

هاملت: كُتبت هذه المسرحيَّة في الفترة بين عامي 1600م -1602م، وهي مسرحيَّة تراجيديَّة، ويُعتقد أنَّ شكسبير استلهم قصَّتها من موت هامنت ولده الوحيد، وهي من أطول مسرحيَّاته وأكثرها طباعة وتمثيلاً.

عُطيل: كُتبت هذه المسرحيَّة عام 1603م، وهي قصَّة تراجيديَّة استلهمها شكسبير من قصَّة إيطاليَّة للكاتب سينثو، وتدور أحداث

المسرحيَّة حول ضابط مغربيٍّ في الجيش البندقيَ وزوجته ديمونة، وتتنوَّع المشاعر فيها بين الحبُّ والكراهيَّة والغيرة.

تاجر البندقيَّة: كُتبت هذه المسرحيَّة بين عامي 1596م- 1598م، وتحكي قصَّة تاجر من إيطاليا اسمه أنطونيو، وتتطرَّق المسرحيَّة للعداء بين اليهود والمسيحيين.

حكم شكسبير

- بالنّار يُختبر الذّهب، وبالذّهب تُختبر المرأة، وبالمرأة يختبر الرّجل.
- تحبّ المرأة أوّلاً بعينيها، ثمّ بقلبها، ثمّ أخيراً بعقلها.
- تضحك المرأة متى تمكّنت، ولكنّها تبكي متى أرادت.
- أن ترى كثيراً ولا تملك شيئاً هو أن تملك عيناً غنيّةً ويدين فقيرتين.
- الحكيم لا يحزن من الآلام الماضية، ولكن يستعين بالحاضر ليتجنّب غيرها.
- الكلام لا يدفع الديون.
- من فقد الأمل فقد النّدم.
- الدّموع دليل المحبّة لكنّها ليست العلاج.
- يموت الجبناء مرّاتٍ عديدة قبل أن يأتي أجلهم، أمّا الشجعان فيذوقون الموت مرّةً واحدة.
- الذّئب ما كان ليكون ذئباً لو لم تكن الخرافُ خرافاً.

- على المرء أن ينتظر حلول المساء ليعرف كم كان نهاره عظيماً.
- نحن مع مرور الوقت نكره ما نخاف.
- أعطِ أيّ رجلٍ كلّ سمعك، لكن القليل من كلامك.
- يمكننا عمل الكثير بالحقّ، لكن بالحبّ أكثر.
- ما أشقى من لا صبر لهم.
- الحياة في نظر الطّفلة الصغيرة صياحٌ وبكاء، وفي نظر الفتاة اعتناءٌ بالمظهر، وفي نظر المرأة زواجٌ، وفي نظر الزّوجة تجربة قاسية.
- ثلاثة أمور تزيد المرأة إجلالاً: الأدب، والعلم، والخلق الحسن.
- تهب المرأة قلبها للرّجل بكلّ سهولة، ولكن الصّعوبة تكمن عندما تريد أن تستردّه.
- زينة الغنيّ الكرم، وزينة الفقير القناعة، وزينة المرأة العفّة.
- ليس في العالم وسادةٌ أنعم من حضن الأم.
- شقّ طريقك بابتسامتك خير لك من أن تشقّها بسيفك.
- الرّحمة جوهر القانون، ولا يستخدم القانون بقسوةٍ إلّا للطّغاة.
- إنّ الحزن الصّامت يهمس في القلب حتى يحطّمه.

أقوال وليم شكسبير عن الحب

- الحب أعمى والمحبون لا يرون الحماقة التي يقترفون.
- ساعاتنا في الحب لها أجنحة، ولها في الفراق مخالب.

- من يحاول إشعال النار بالثلج كمن يحاول إخماد نار الحب بالكلمات.
- تحب المرأة أولاً بعينيها ثم بقلبها ثم أخيراً بعقلها.
- يمكننا عمل الكثير بالحق، لكن بالحب أكثر.
- ثلاثة لا تحبها المرأة: امرأة أجمل منها ومن يسألها عن عمرها ومن يسألها عن ماضيها.
- الدموع دليل المحبة لكنها ليست العلاج.
- في حياة المرأة ثلاث رجال: الأب وهو الرجل الذي تحترمه، والأخ وهو الرجل الذي تخافه، والزوج وهو الرجل الذي يحبها وتحبه.
- ما أتعس الحب الذي يقبل أن يقاس.
- حب النفس ليس أقل ذنباً من إهمالها.
- الفتاة العاقلة لا تؤمن بالحب للحب ولكنها تؤمن بالحب للزواج.

أجمل أقوال وليم شكسبير

- الزمن بطيء جداً لمن ينتظر سريع جداً لمن يخشى طويل جداً لمن يتألم قصير جداً لمن يحتفل لكنّه الأبدية لمن يحب.
- الدنيا مسرح كبير، وكل الرجال والنساء ما هم إلّا ممثلون على هذا المسرح.
- إنّ الآثام التي يأتي بها الإنسان في حياته غالباً ما تذكر بعد وفاته، ولكن أعماله الحميدة تدفن كما يدفن جسده وتنسى.

- من خلال أشواك الخطر نحصل على زهور السلام.
- إنّ الحزن الصامت يهمس في القلب حتى يحطمه.
- الشك دائماً ما يسكن العقل الآثم.
- السمعة أكثر الخدع زيفاً وبطلاناً، فهي كثيراً ما تكتسب دون وجه حق وتفقد دون وجه حق.
- نحن نعرف من نحن، لكننا لا نعرف ما قد نكونه.
- استمع لكثيرين، وتكلّم مع قليلين.
- الذئب ما كان ليكون ذئباً لو لم تكن الخراف خرافاً.
- البعض ترفعه الخطيئة، والبعض تسقطه الفضيلة.
- إنّنا نعلّم الآخرين دروساً في سفك الدماء، فإذا ما حفظوا الدرس قاموا بالتجربة علينا.
- لا تطلب الفتاة من الدنيا إلّا زوجاً، فإذا جاء طلبت منه كل شيء.
- الأحمق يظن نفسه حكيماً، لكن الرجل الحكيم يعرف أنه أحمق.

أقوال وليام شكسبير عن الحياة

- أيّها النوم إنك تقتل يقظتنا.
- ليس من الشجاعة أن تنتقم، بل أن تتحمّل وتصبر.
- الرجال الأخيار يجب ألا يصاحبوا ألا أمثالهم.
- هناك ثمة وقت في حياة الإنسان إذا انتفع به نال فوزاً ومجداً، وإذا لم ينتهز الفرصة أصبحت حياته عديمة الفائدة وبائسة.

- إنّ الآثام التي يأتي بها الإنسان في حياته، غالباً ما تذكر بعد وفاته، ولكن أعماله الحميدة تدفن كما يدفن جسده وتنسى.
- إنّ المرء الذي يموت قبل عشرين عاماً من اجله، إنّما يختصر مدة خوفه من الموت بنفس العدد من السنين.
- إنّ أي مركز مرموق كمقام ملك ليس إثماً بحد ذاته، إنّما يغدو إثماً حين يقوم الشخص الذي يناط به ويحتله بسوء استعمال السلطة من غير مبالاة بحقوق وشعور الآخرين.
- هناك ثمة أوقات هامة في حياة سائر الرجال حيث يقرر أولئك مستقبلهم أما بالنجاح أو بالفشل وليس من حقنا أن نلوم نجومنا أو مقامنا الحقير، بل يجب أن نلوم أنفسنا بالذات.
- نكران الجميل أشد وقعاً من سيف القادر.
- الدنيا مسرح كبير، وان كل الرجال والنساء ما هم إلّا لاعبون على هذا المسرح.
- لا تطلب الفتاة من الدنيا إلّا زوجاً.. فإذا جاء طلبت منهُ كل شيء.
- إنّ المرأة العظيمة تُلهم الرجل العظيم أما المرأة الذكية فتثير اهتمامه بينما نجد أنّ المرأة الجميلة لا تحرك في الرجل أكثر من مجرد الشعور بالإعجاب ولكن المرأة العطوف المرأة الحنون وحدها التي تفوز بالرجل العظيم في النهاية.
- إذا أحببتها فلن تستطيع أن تراها لماذا؟ لأن الحب أعمى.
- يمكننا عمل الكثير بالحق لكن بالحب أكثر.

- لكن الحب أعمى والمحبون لا يستطيعون أن يروا الحماقات الصارخة التي يرتكبونها هم أنفسهم.
- الرحمة جوهر القانون، ولا يستخدم القانون بقسوة إلّا للطغاة.
- يموت الجبناء مرات عديدة قبل أن يأتي أجلهم، أما الشجعان فيذوقون الموت مرة واحدة.
- إنّ الحزن الصامت يهمس في القلب حتى يحطمه.
- إنّنا نعلّم الآخرين دروساً في سفك الدماء فإذا ما حفظوا الدرس قاموا بالتجربة علينا.
- على المرء أن ينتظر حلول المساء ليعرف كم كان نهاره عظيماً.
- إنّ الغيرة وحش ذو عيون خضراء.
- الذئب ما كان ليكون ذئباً لو لم تكن الخرافُ خرافاً.
- لا يكفي إن تساعد الضعيف بل ينبغي إن تدعمه.
- قسوة الأيام تجعلنا خائفين من غير أن ندري تماماً ما يخيفنا، إذ إنّ الأشياء التي تخيفنا ليست إلّا مجرد أوهام.
- مداد قلم الكاتب مقدس مثل دم الشهيد!.
- من خلال أشواك الخطر، نحصل على زهور السلام.
- لا يتأوه عاشق مجاناً.
- عندما تأتي البلايا لا تأتي كالجواسيس فرادى. بل كتائب كتائب.
- لا ترى كل ما تراه عينك ولا تسمع كل ما تسمعه أذنك.

أقوال وليم شكسبير عن الأمل

- امتلك أكثر مما تُظهر وتكلم أقل مما تعلم.
- ليس من الشجاعة أن تنتقم بل أن تتحمل وتصبر.
- إنّنا نعلم الآخرين دروساً في سفك الدماء فإذا ما حفظوا الدرس قاموا بالتجربة علينا.
- أحياناً تكون أحلامنا أوسع من أن يحتويها واقعنا.. فلنصبر على واقعنا قليلاً حتى يكبر.
- اليوم هو أول يوم فيما بقي لي من عمر.
- مداد قلم الكاتب مقدس مثل دم الشهيد.
- الزنديق هو الذي يوقد النيران وليس التي تحترق بها.
- من يخشى تحرر أبنته من سلطته عند سن ال18، يعترف لاشعوريا بأنه لا يربطه بفلذة كبده سوى تفويض القانون له بالتحكم الأبدي في مصيرها.
- الحب أصغر من أن يدرك الضمير، لكن من يدري أن الضمير ليس مولوداً من الحب؟
- الشعر الأكثر صدقاً هو الأكثر تلفيقاً.
- البؤساء لا دواء لهم إلّا الأمل.
- لا تلعب بمشاعر الآخرين لأنك قد تربح اللعبة لكن الخطر أن تخسر هذا الشخص مدى الحياة.
- يكون إنساناً بلا قانون من يجعل من إرادته قانوناً.
- إنّ الأمل سريع يطير بأجنحة الخطاف، فيخلق من العظماء قديسين، ومن قليلي الشأن عظماء.

- ما أمرّ أن تنظر إلى السعادة من خلال عيون الآخرين.
- إذا قررت أن تترك حبيباً أو صديقاً فلا تترك له جرحاً فمن أعطانا قلباً لا يستحق منا أن نغرس فيه سهماً أو نترك له لحظة تشقيه.
- ما أجمل أن تبقى في وحيكماً دائماً لحظات الزمن الجميل فإن فرّقت بينكما الأيام فلا تتذكر لمن تحب غير كل إحساس صادق.
- لا تدع يد الشتاء الخشنة تمحو عنك صيفك قبل أن تتحول أنت إلى قطرات.
- أحب الجميع، وثق بالقليل، ولا تخطىء بحق أحد.
- الرائعون حقاً هم من يشعرون دئماً بقيمة ما تقدمه مهما كان بسيطاً.
- إذا ركب اثنان معاً الحصان نفسه، فاحدهما يجب أن يكون في الخلف.

سنوات شكسبير الأخيرة وموته

عاش شكسبير أعوامه الأخيرة مع أصدقائه، عيشة وادعة منعزلة, كما يتمنّى جميع العقلاء أن يقضوها كان لديه من الثروة ما يكفي لاحتياز أملاك تفي بما يحتاج إليه, وبما يرغب فيه، ويقال أنه قضى بعض السنوات, قبل أن توافيه المنية, في مسقط رأسه ستراتفورد ويروي نيكولاس رو عنه:إن ظرفه الممتع، وطيبته قد شغلتاه بالمعارف, وخولتاه مصادقة أعيان المنطقة المجاورة.

لقد مات شكسبير كما عاش، من غير ما يدل كثيراً على انتباه العالم, ولم يشيّعه إلا أسرته وأصدقاؤه المقربون، ولم يُشِد الكتاب المسرحيون الآخرون بذكراه إلا إشادات قليلة، ولم تظهر الاهتمامات الأولى بسيرة شكسبير إلا بعد نصف قرن، ولم يكلّف نفسه أي باحث أو ناقد عناء دراسة شكسبير مع أي من أصدقائه أو معاصريه مات شكسبير بعد أن عانى من حُمّى تيفية، وقرع جرس موته في كنيسة ستراتفورد في 23 نيسان، في اليوم الذي ولد فيه قبل 53 سنة، وقيل إنه دفن على عمق 17 قدماً، وهذه الحفرة تبدو عميقة بالفعل، وقد تكون حُفرت مخافة عدوى التيفوس، ولعل شكسبير هو من كتب على الشاهد:

أيها الصديق الطيب, كرمى ليسوع لا تحفر هذا التراب المسّور ههنا مبارك من تحفظ هذه الأحجار وملعون من يحرك عظامي لقد أعطى العالم أعماله، وصداقته الطيبة، ولكنه لم يعطه جثمانه أو اسمه حمل المشيعون باقات من إكليل الجبل أو الغار، وألقوها على القبر الذي يزوره إلى يومنا هذا آلاف المعجبين.

شكسبير كاتباً مسرحياً لأشد المآسي قسوة في أعماله لا تخلو من لحظات تزخر بالهزل المكشوف وهو يصور الحياة التي تنبض في صوت مكتوم على توقيع العواطف والشهوات، والمتناقضات، بلغة تتسم أحيانا بالغرابة، وأحيانا أخرى بالعاطفة، والتي أكسبت أعماله طابع المأساة العالية.

جدال بعد الوفاة

بعد مئة وخمسين عاماً من وفاة ويليام شيكسبير برزت العديد من التساؤلات حول ملكيته الفكرية لمسرحياته، فقد بدأ الباحثون والنقاد الأدبيون بطرح أسماء من قبيل كريستوفر مارلو وإدوارد دي فير وفرانسيس باكون، وهم ذوو خلفيات معروفة وباع طويل في الأدب أو الإلهام، بوصفهم المؤلفين الحقيقيين للمسرحيات، وترجع جذور معظم ذلك إلى التفاصيل الغامضة في حياة شيكسبير وإلى شح المصادر الرئيسية المعاصرة، كما أن السجلات الرسمية لكنيسة الثالوث المقدس وحكومة ستراتفورد تؤكد وجود ويليام شيكسبير إلا أن أياً منها لا تؤكد على أنه كان ممثلاً أو كاتباً مسرحياً.

وهنالك شكوك تدور أيضاً حول كيفية استطاعة شخص ذي تعليم متواضع أن يكتب بمثل هذا الإدراك الذهني والقوة الشعرية التي تظهر في أعمال شيكسبير، لذلك فقد ظهرت على مدى القرون مجموعات متعددة شككت في ملكية شيكسبير الفكرية للمسرحيات.

بدأت أهم الشكوك وأقواها في القرن التاسع عشر عندما كان الافتتان بشيكسبير في أوجه، فكان المنتقدون يعتقدون أن الدليل القوي الوحيد حول ويليام شيكسبير من ستراتفورد أبون أفون كان يصف رجلاً بدأ بدايات متواضعة وتزوج وهو يافع ثم أصبح ناجحاً في مجال العقارات، في حين يمضي أعضاء رابطة شيكسبير في أوكسفورد (تم تأسيسها عام 1957) فيطرحون فرضيات تشير إلى أن

الأرستقراطي إدوارد دي فير إيرل أوكسفورد في القرن السابع عشر كان المؤلف الحقيقي لقصائد ويليام شيكسبيرومسرحياته، وهم يستشهدون على ذلك بمعرفة دي فير الكبيرة بالمجتمع الأرستقراطي، ودرجته العلمية ونقاط التشابه البنيوية بين قصائده وتلك الموجودة في الأعمال المنسوبة إلى شيكسبير، كما يجادلون بأن ويليام شيكسبير لم يكن لديه لا التعليم ولا التدريب الأدبي لكتابة مثل ذلك النثر الجزل وخلق مثل تلك الشخصيات الغنية.

ومع ذلك تظل الغالبية العظمى من الباحثين في سيرة شيكسبير يجادلون بأن ويليام شيكسبير كتب جميع المسرحيات بنفسه، ويشيرون إلى أن كتاب مسرح آخرين كان تاريخهم غامضاً أيضاً وكانت خلفياتهم متواضعة، كما يشيرون إلى أن محتوى منهاج مدرسة القواعد الحديثة في ستراتفورد للاتينية والأعمال الكلاسيكية وفرت أساساً جيداً لكتاب أدبيين، ويزعم مؤيدون لملكية شيكسبير الفكرية أن الافتقار إلى أدلة عن حياة شيكسبير لا يعني عدم وجود هذه الحياة، ويحتجون بأحد الأدلة وهو أن اسمه مكتوب على صفحات العنوان في القصائد والمسرحيات المنشورة.

وهنالك أمثلة لمؤلفين ونقاد في ذلك الوقت اعترفوا بويليام شيكسبير مؤلفاً لمسرحيات مثل مسرحية السيدان الفيرونيان وكوميديا الأخطاء والملك جون، وتشير السجلات الملكية من عام 1601 إلى أن ويليام شيكسبير كان معروفاً بكونه عضواً في شركة ذا كينغز مين لفنون المسرح (التي تعرف رسمياً باسم ذا تشامبرلاينز مين ومرافقاً

شخصياً للعائلة المالكة في بلاط الملك جيمس الأول، فقامت الشركة بأداء سبع من مسرحيات شيكسبير، كما أن هنالك دليل ظرفي قوي على وجود علاقات شخصية بمعاصريه الذين تفاعلوا مع شيكسبير بوصفه ممثلاً وكاتباً مسرحياً.

أما ما يبدو أنه صحيح فهو أن ويليام شيكسبير كان رجلاً محترماً في وسط الفنون المسرحية وكتب مسرحيات ومثّل في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، ولكن الصيت الذي ذاع عنه بأنه عبقري في مجال المسرح لم يعترف به حتى القرن التاسع عشر، حيث وصل قبول أعمال ويليام شيكسبير واحترامها ذروتهما في بداية الفترة الرومانسية مطلع القرن التاسع عشر وحتى العصر الفكتوري، أما في القرن العشرين فاكتشفت حركات جديدة في الثقافة والفنون الأدائية أعماله وتبنتها.

واليوم تعد مسرحياته واسعة الانتشار ودائمة الدراسة ودائماً ما يعاد شرحها من خلال أدائها في سياقات ثقافية وسياسية متنوعة، وتكمن العبقرية في شخصيات شيكسبير وحبكاته في أنها تقدم بشراً حقيقيين في نطاق واسع من المشاعر والصراعات التي تتعدى أصولها التي تعود إلى إنجلترا في عصر الملكة إليزابيث.

حقائق سريعة عن شيكسبير

كان والداه أميين على الأرجح، وأولاده كذلك أيضاً.

لا توجد أي سجلات رسمية توثق ما كان سيكسبير يفعله في الفترة بين عامي 1585 و1592.

ثمة بعض الأشخاص الذين يؤمنون بأن شكسبير مجرد محتال سرق مسرحياته من كتاب آخرين.

من كلامه عن الوقت

أمس ضيعت الوقت , واليوم الوقت يضيعني.

جمال المكان بمن رافقك فيه ، وجمال الوقت بمن شاركك فيه.

اذا أردت أن تَحبَ وأن تُحَبَ فإبحث عن الحب بين أقاربك وأصدقائك ولاسيما والديك فلن تجد أحداً يكفيك بالحب سواهم فهم أحبوك دون سبب.

تبدو الأيام كلها ليالياً حتى ألقاك، والليالي تبدو أياماً مشرقة إذا أتاحت لي الأحلام أن أراك.

يا له من عصرٍ مُريعٍ يحكمُ فيه حمقى عُميانا.

قضينا سنوات عديدة في التعليم ، ومع ذلك لم يعلمنا أحد أن نحب أنفسنا.

ربّ قلب جميل خير من آلاف الوجوه الجميلة.

عود لسانك على قول كل الأحاديث الجميلة ، فلسانك هو المظهر الخارجي لقلبك.

لاتسمح للناس أن يسحبوك لعاصفتهم ، اسحبهم أنت لهدوئك.

عندما تُدخل السعادة إلى قلوب الآخرين ستعرف السعادة عنوانك.

ليس هنالك جميل ولا قبيح، وإنما تفكير الإنسان هو الذي يصور الجمال والقبح للإنسان.

لاأحد يفهم معنى وداعاً ، إلا من جرب ألمها.

تنازلوا عن دوركم في إصلاح الناس وأصلحوا أنفسكم.

أظن أن البعض أصبحوا بحاجة للتجاهل قليلاً ،ليعلموا كم كان اهتمامنا بهم جميلاً.

إذا لم تكن قادراً على الوفاء ، لا تنطق كلمة وعد.

سلوبك وأنت تتكلم ، أهم من الكلام نفسه.

لا تقترب من ذكرياتك المؤلمة فإنها ستشعل حاضرك بنيران حزنها.

الصديق الحقيقي هو من يشعر بألمك عندما تخفيه.

أعان الله قلباً تظاهر بالقوة وهو أشد المكسورين.

طلب الاهتمام يفقده نصف قيمته.

لاتحلو الحياة دون أصدقاء يشاركونك الجنون بعض الأحيان.

ما وجدت شعوراً أروع من أن يذكرك صديق من بعد طول غياب.

رغم بساطة الأفعال الصادقة ، إلا أنها تصنع في القلب إحساس عميق لا تصله كبائر المجاملات.

ان كنت تحمل في قلبك عتاباً ، صارحني به كي لا يصبح بيننا فراغاً يعبر منه الآخرون.

من الأفضل أن تموت غير مفهوم ، على أن تقضي حياتك في شرح نفسك.

كن نفسَكَ أنت وليس ما يُرِيدُكَ العالم أن تكون.

تكسيرك لمجاديف غيرك ، لا تزيد أبداً من سرعة قاربك.

لا نعلم ما تخبئ لنا الأيام ، قد تقابل شخص واحد يغير حياتك للأبد.

طالما هي حياتي وليست حياتك ، أهتم بما يناسبني وليس بما يناسبك.

اذا ما انطلق المالُ فكلُّ السبلِ له ممهدةٌ.

أعظم النعم في الحياة راحة البال ، إن شعرت بها فأنت تملك كل شيء.

الأصدقاء الحقيقيون ، يصعب إيجادهم ، يصعب تركهم ، ويستحيل نسيانهم.

لاتمسح دموعك ، بل امسح من حياتك المتسبب فيها.

ليس ثمة حب سيء ، ولكن هناك حبيب سيء لا يصلح للحب.

تبالغ في شعورك فالأغلبية عابرين.

عامل حبيبتك دائماً على أنها طفلتك الوحيدة ، دللها واستمع لها واهتم بها.

البعض يولد عظيماً ، والبعض يجتهد فيكون عظيماً ، والبعض يسبب مشقة عظيمة لهؤلاء.

لراحة بالك : المعاملة بالمثل هي أفضل أسلوب للحفاظ على الراحة.

من كلامه عن الانسان

الإنسان يتغير لسببين، حينما يتعلم أكثر مما يريد أو حينما يتأذى أكثر مما يستحق.

اذا كانت سعادة الإنسان مرهونة بوجود شخص أو بامتلاك شيء محدد فما تلك بسعادة.

أقسمُ إنه لأهون على الإنسان أن يولد في أسرة متواضعة ويعيش مع الفقراء القانعين ، من أن يلبس أفخر الثياب وهو حزين ، ويزدان بالذهب وهو كاسف البال.

ان الآثام التي يأتي بها الإنسان في حياته غالباً ما تُذكر بعد وفاته، ولكن أعماله الحميدة تدفن كما يدفن جسده وتنسى.

مة وقت في حياة الإنسان إذا انتفع به نال فوزاً ومجداً، وإذا لم ينتهز الفرصة أصبحت حياته عديمة الفائدة وبائسة.

ما أروع الإنسان الذي لا يتكلم كثيراً, لكنه اذا تكلم اسكت الكثير.

أهم المصادر والمراجع:

1. الموسوعة العربية الميسرة.
2. موسوعة المورد، منير البعلبكي.
3. مسرحيات وليم شكسبير الكاملة.
4. مقدمة مسرحية المليونيرة - جورج برناردشو , ترجمة : عبد المنعم شميس .
5. دراسات في النقد المسرحي- د . محمد زكي العشماوي.
6. دراسات في الادب المسرحي - د. سمير سرحان .
7. المرشد إلى فن المسرح- لويس فارجاس- ترجمة : أحمد سلامة. مسرح برناردشو- د . علي الراعي.
8. جورج برنارد شو – عباس محمود العقاد.

الفهرس

مقدمة.....3
جورح برنارد شو **5**
هنريك ابسن.....59
وليم شكسبير.....93
أهم المصادر والمراجع 143
الفهرس.....144